خيال × خيال

الهروب من وادي الهلاك

تأليف : محمود قاسم

دار الشروق

الهروب من
وادي الهلاك

الطبعـة الأولى
١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

© دار الشروق
أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص . ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣
فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

(١)

وكأن كل شيء يسير على هوى « الشبح الأزرق» . .

راحت الألوان الداكنة تلمع فى مـلابسه ، كأنها تعبر عن فرحة عارمة تنتابه . لم يكن ينقصه فى تلك الساعة سوى أن يغنى . رغم أن البهجة ممنوعة تماما على مملكته الواسعة التى يسيطر عليها .

ود أن يقيـم فرحـا . بل أن يتخلـص مـن اللون الأزرق الـذى يسيطر على الأمـاكن التـى يتولى قيادتها . دليـلا على مايغمـره من فرحة وسعادة .

يـا إلهى . إذا كـان « الشبـح الأزرق » سعيـدا ، فهـذا يعنـى بلاشك أن هناك مصيبة ستحـدث ، أو حدثت فى مكان ما . وأن الكارثة قد حلت بالناس . .

ترى ماذا حدث ؟

إنه سعيد . . وكلما زادت سعادته ، بدت الكارثة أشد . . ردد وهو ينظر إلى صورته تلمع فى المرآة الداكنة :

ـ رائع . . سوف يحل عليهم الغضب . . سوف أفرح . .

وسرعـان ما ظهـرت فرحتـه على الشـاشة التـى يتجسد عليهـا

كلامه . وكان السؤال :

ـ ترى ماذا هناك حقا ؟

(٢)

إنها مدينة « الراحة » . . تعيش فى هذا الحال منذ عدة أيام . . وياله من حال لايسر عدوا ولا حبيبا . .

هل يتصور أحد أن مثل هذه المدينة يمكن ان تحل بها هذه الكارثة؟ إنها من أروع المدن فى كل الدنيا . مدينة صغيرة مثالية ، يعيش سكانها فى سعادة منذ سنوات طويلة ، لدرجة أن الناس كادت أن تنسى وجودها على الخريطة . .

إذن ، فالأمر جسيم ، بل وبالغ الجسامة . .

إنهم خمسة آلاف نسمة لا أكثر ، عدد سكان المدينة الواسعة . لقد قرروا منذ فترة ألا يزيد عددهم . إيمانا بأن السعادة ليست فى الكثرة ، بل فى أن تعيش القلة على الخيرات التى منحهم الله إياها فى جميع المجالات . .

ولأن زيادة شخص واحد فقط يمكن أن تغير الموازين ، وتجعل موارد المدينة تقل ، فقد كان هناك شبه اتفاق بتنظيم عدد سكان المدينة . .

وهكذا عاشوا ، فى ارتياح شديد ، كل مايطلبه الإنسان

المعاصر موجود ، كأنها مدينة فاضلة ، ولذا فلا جرائم قتل من أى نوع . ولا حوادث مثيرة . . ولماذا الجرائم وأسبابها غير موجودة . ؟

وبالتالى ، نسى النـاس من قواميسهم كل مانعرفـه نحن الذين نسكن خارج هـذه المدينة من تعبيرات عن المغـامرات ، والآمال ، والطموح . .

كأنها مدينة نموذجية ، يعمل فيها كل شىء وفق نظام دقيق ، ولم يكن هناك مايؤرق الناس . .

لذا انعدمت الأخبار الجديـدة . . وفقدت الصحف أهميتها ؛ فليست هنـاك أخبار عـن رجال سيـاسة ، أو الحوادث المثيرة ، أو عن زيادة الأسعار . ولذا فهى المدينة الوحيدة فى عالمنا التى توقفت فيها نشرات الأخبار منذ سنوات طويلة . .

لكن ، شيئا ما ، جاء يهب على المدينـة ، كأنه يود أن يعصف بها وبسكانها .

(٣)

اجتمع المجلس الأعلى لمدينـة الحكايات هذا الصبـاح اجتماعه التقليدى ، الـذى يعقد صبـاح يوم السبت لمنـاقشة بعـض الأمور العادية ، ولمعرفة إلى أى مدى تسير أمور المغـامرين من أبناء المدينة فى أماكن عديدة من العالم .

وفجأة أثناء الاجتماع ، فجر رجل عجوز من أبناء المدينة سؤالا غريبا ، حين قال :

ـ هل تصدقون أن هناك مدينة لاتتعامل قط معنا . . ؟

تنبه «حكيم المدينة » إلى أهمية مايقوله العجوز ، فلاشك أن مايطرحه بالغ الإثارة . سأله :

ـ ماذا تقصد . . ؟

هنا تدخل سندباد قائلا :

ـ هل تقصد مدينة « الراحة » ؟

وسرعان ماضحك الحاضرون من هذا الاسم الغريب ، فهل هناك مدينة بهذا الاسم على الخريطة ؟ ، هز العجوز رأسه بالإيجاب . هنا قال سندباد :

ـ إنها مدينة غريبة ، أنتم تعرفون يا أخوان أننى سافرت إلى كل مدن العالم القديم والحديث ، لكن هذه مدينة غريبة ، فأهلها لايحبون القصص ولا الحكايات . .

قال «حكيم المدينة» :

ـ وبالتالى فهم لايعرفون سندباد ، ولا جحا ، ولا علاء الدين ، أو على بابا .

تدخلت أم الغولة بكل حماس :

ـ ولا أم الغولة . .

ضحك العجوز مؤكدا : ولا أم الغولة . . ولا الفارس النادر. .

ضمت أم الغولة فكيها بقوة ، وكأنها فى حالة غيظ ، وقالت :

ـ آه . . ياويلهم . . سوف أذهب إليهم ! !

تدخل عنترة : ولماذا . . دعيهم فى حالهم . . فنحن حيث نذهب تولد المتاعب . .

هنا طرق العجوز على مائدة أمامه ، وكأنه يؤكد أن هذا هو مايقصده . . فهذه المدينة لاتتعامل مع الحكايات ، فهى تضم الأشرار ، إلى جانب الطيبين ، ولاشك أن سكان المدينة يودون أن يرتاحوا من أى متاعب . .

فجأة ، لمع ضوء أخضر ، على المنضدة التى يجلس أمامها «حكيم المدينة» ، راح ينظر إليها باهتمام وسرعان مافهم الإشارة . فنظر إلى مجلس إدارة مدينة الحكايات ، قائلا :

ـ «الشبح الأزرق» مبتهج . . وهذا مؤشر خطير . . ويجب أن نتصرف . .

(٤)

بدأت الحوادث المثيرة ذات صباح ، حينما رمى أحد المواطنين بجهاز كومبيوتر متطور من شرفته فسقط فى الشارع وتحطم إلى عدة قطع . .

هذا الأمر أزعج المواطنين فى مدينة « الراحة » . . ولأول مرة منذ سنوات طويلة ، يذاع خبر فى برامج محطات التليفزيون . . وجلس المشاهدون يتلقون الخبر بدهشة، وسعوا إلى معرفة المزيد . فلماذا فكر مواطن فى أن يفعل هذا . . هل هو مجنون ؟

وقف المواطن أمام المذيعة الحسناء، وقال بهدوء شديد :

ـ لا ، ، لست مجنونا . . أنا عاقل جدا . . لكننى وجدت أن الكومبيوتر شىء غير مفيد .

سألته المذيعة : ماذا تقصد بالضبط . ؟

نظر الرجل إلى الكاميرا ، وبدا كأنه يسأل المواطنين :

ـ هل سأل أحد منكم نفسه ، هل الأشياء التى حولنا مفيدة أم لا . . هل يمكن أن نعيش بدونها . . المقعد الذى نجلس عليه مثلا . . هل ينتهى العالم لو جلسنا فوق الأرض مثلا . . ؟

وأحس بعض المواطنين أن هذا الرجل يتكلم بطريقة منطقية جدا . وتساءلوا عن فائدة الأشياء التى أصبحت أساسية فى حياتهم .

ولم يمض سوى يومين، إلا وأصبح موضوع « المفيد » و«غير المفيد» حديث الناس فى كل مكان . وتكون فريق أطلق على نفسه « التخلص من الأضرار » ، راح يوزع منشوراته على الناس بأن كل

تلك الأجهزة المتطورة التى تملكها المدينة قد أضرت بالناس أكثر مما أفادتها ، وأنها علمتهم كيف يكونون كسالى ، ، لايعملون ، ولايفكرون فى غدهم ، وأنهم يعيشون فى حالة تواكل ، وقد افتقدوا بذلك بعض الأمور الهامة ، مثل المشاعر الفياضة ، وضمرت أشياء هامة لدى البعض مثل الطموح ، والرغبة فى الأفضل .

وسرعان ماوجدت هذه الأفكار صدى لدى بعض الناس . فبدءوا يتخلصون من أشياء كانوا يتصورونها مهمة ، ومنها السيارات ووسائل المواصلات الأخرى ، وراحوا يجربون المشى على الأقدام ، وانتشرت فى المدينة دعوة فريق « التخلص من الأضرار » وشوهد الكثير من الناس يمشون فى الشوارع بعد أن أهملوا سياراتهم . وقال البعض للآخر :

ـ أحس كأن عضلات جسمى قد عادت للحياة مرة أخرى . .

أما الفريق الآخر ، فقد رأى أن الله أنعم على البشر بالعقل ، وبواسطة هذا العقل ، أمكنهم التوصل إلى كل هذا التطور . وأنه من الأفضل الاستفادة منها . .

وبدأت المدينة تشهد أحداثا جسيمة . . خاصة أن الفريق الأول وجد أن عليه أن يحطم كل السيارات فى المدينة من أجل أن تعم فائدة المشى .

ومن هنا بدأت المواجهة . .

(٥)

ولذا كان « الشبح الأزرق » سعيدا . .

فقد رأى أن مياه الشر قد تحركت فى المدينة . وسرعان ما أصدر أوامره أن ينـزل الرجـال إلى مدينـة « الراحـة » كى يثيروا الفتـن بين الفريقين المتنـافسين ، أو فلنقل المتصارعين . ونجح رجـاله فى أن يندسوا بين الناس ، ينقلون إليهم أخبـار الفريق الآخر . ويزيدون كلاما ، وأحداثا ، فزادت الفتنة .

ولم يلتفت الناس إلى خطورة مايحدث . .

ولأول مرة لم ينتبهوا أن بينهـم قوما غرباء ولم يتبينـوا ملامحهم . ونجحت خطـة « الشبح الأزرق » ، فسرعـان ماقـام أعضاء فـريق بالهجوم على الفريق الآخر ، بحجة أنه يجب أن يمتثل له . .

فطالما أن الفريق الأول يرى أن التكنولوجيا قد أضرت بالناس ولم تعـد بـذات فائدة فـإن هـذا الأمـر لايقتصر على المناصريـن فقـط لأعضاء هذا الفريق بل أيضا لكل أبناء المدينة .

وذات مسـاء ، همس واحد مـن أبناء «المدينـة الزرقـاء» فى أذن رجل من الفريق الأول :

ــ ولماذا لا تتخلصون مـن السيـارات . . كـى تتسع الشـوارع

أكثر . . وتعم « فائدة » المشى . . ؟

وبدت الفكرة وجيهة للغاية . . وفى صباح اليوم التالى فوجئ سكان المدينة بأن كل السيارات على اختلاف أشكالها قد اختفت . .

لم يعرف أحد أين ذهبت السيارات . قيل إن شخصا من أنصار الفريق الأول جاء بمغناطيس عملاق فى منتصف الليل والتقط السيارات الواحدة تلو الأخرى . ثم وضعها فى قفص ضخم اختفت إلى الأبد . .

وتناثرت الحكايات . ولم يعرف أحد الحقيقة . .

وبدأ الغضب يعم المدينة . وأحس أعضاء الفريق الثانى بأن المنافسين كانوا وراء اختفاء السيارات ، فقرروا أن ينتظروهم فى الصباح وهم يقومون بالمشى فى مجموعات .

وبدت المدينة كأن أبناءها على حافة مواجهة ساخنة فيما بينهم . .

وفى تلك الليلة ، وقبل المواجهة الحاسمة ، ظهر فى المدينة رجل عجوز .

(٦)

وقررت مدينة الحكايات أن ترسل أحد مواطنيها إلى مدينة «الراحة» . .

فقد تسربت الأنباء المزعجة إلى «مدينة الحكايات» ، بأن «الشبح الأزرق» قد توصل بشره إلى هذه المدينة الآمنة ، وأراد أن يرمى ببذوره هناك لتحدث مواجهة بين أهل المدينة . إنها مواجهة دامية .

حين وصل العجوز الى المدينة كان كل شيء ينذر بشر لا حدود له . فقد قرر أعضاء الفريق الثانى أن يستخدم كل مالديه من أسلحة متطورة لهزيمة الفريق الأول . .

ولأن الأسلحة النارية محرمة تماما فى هذه المدينة ، فإن أعضاء الفريق الثانى قرروا أن يحشدوا أسلحة أشد فتكا ، وليست نارية . .

بدت المدينة غريبة الشكل ، فقد عمتها الظلمة حيث قام أعضاء الفريق الأول الذى لا يرى أى فائدة فى منجزات العلوم بإطفاء الأضواء فى مساكنهم ، وفى الشوارع التى يسكنونها بحجة أن الناس يمكنها أن تعيش بدون إضاءة مثلما كان يفعل الأجداد .

بدت مدينة « الراحة » فى تلك الساعة كأن أشباحا تسكنها ، وكأن هناك أشخاصا يتربصون بآخرين ، وينتظرون أن يخرجوا من



أجل التخلص منهم .

ولذا كان من الغريب أن يقوم رجل عجوز لا حول له ولا قوة بالتجول فى شوارع المدينة ، إنه يضع على كتفه مخلاة بيضاء، وكأنه غريب يبحث عن مكان يبيت فيه . .

ولأن مدينة « الراحة » لم تعرف رجال الشرطة منذ فترة طويلة ، فإن الجميع قد قرر البقاء فى منزله فى انتظار المواجهة الدامية الحاسمة . وكأن كل شخص يترقب أن يتخلص من خصمه ، الفريق الأول الذى يهدف إلى التخلص من كل منجزات الحضارة ، والتكنولوجيا كى يعيش بشكل طبيعى ، بحجة أن التكنولوجيا قد أفسدت الناس وقتلت فيهم أشياء جميلة . أما الفريق الثانى فيرى أن عليهم الاحتفاظ بالمنجزات التى حققها البشر طوال آلاف السنوات ، وأن المثالية التى عاشت فيها المدينة فى السنوات الأخيرة ليست سوى نتاج لمنجزات الإنسان .

بدا أفراد كل طرف متشبثين بأفكارهم . . وراح قلب العجوز يدق وكأنه قرر أن يفعل شيئا . . يحسم به هذه المعركة . .

(٧)

جاءت صرخة «الشبح الأزرق» حادة ، وظهرت كلماته على الشاشة المعلقة على صدره :

ـ آه . . لقـد فعلها هذا العنيـد . . لقد تعلم منـى . . سوف اريه . .

إنها المرة الأولى فى حكايـات الفنطازيـا إذن . . لكن تـرى ماذا حدث حقا . . ؟

لم تستطع مـدينة « الراحـة » أن تستيقظ فى صباح يـوم المواجهة الحاسمـة . . وكيف لها أن تستيقـظ ولم تعد مـدينـة بالمرة . . بـل أصبحت مجرد مكان بدائى تعيش فيه مجموعة من الأشخاص حياة تدعو إلى الرثاء . .

عندما استيقظ سكان مدينة « الـراحة » سابقا ، علت الدهشة وجوه الجميـع ، فقد فـوجئ الجميـع أنهم راقدون فـوق رمال وعلى مقربة منهم كهوف حجرية . صاح من صاح :

ـ يا إلهى . . ماذا حدث . . ؟

لم يكن هنـاك وقت للدهشـة ، ولا للمفاجأة ، ولا حتـى لفعل أى شىء ، فـلاشك أن ماحدث اغـرب من الخيال . لقـد اختفت المدينـة بكل مـابها مـن دلائل حضارة وتقـدم ، اختفـت المصانـع والبيوت والأجهزة الحديثة والتكنولوجيـا والملابس الفاخرة . . وكل شـىء لـه عـلاقـة بـالتطـور ، حتـى صنـابير المياه لم تعـد موجودة ، واكتشف الناس أنهم فى مأزق حقيقى . فلا هـم بقادرين

على ممارسة حياتهم العادية ولا بعارفين كيف يتصرفون . .

صاحت طفلة صغيرة :

ـ أريد كوب اللبن . .

وهتف رجل عجوز : أريد أن أحلق ذقنى . .

وودت إحدى ربات البيوت أن تفتح التليفزيون لتشاهد برامج الصباح الجذابة ، لكن أحدا لم يستطع أن ينفذ مايود .

كان السؤال الذى أطلقه الجميع معا هو :

ـ ترى ماذا حدث ؟

كان عليهم أن ينتظروا حتى يفيقوا من الصدمة التى أصابتهم ، فلاشك أن هذه هى المرة الأولى من نوعها .

لكن وقت الانتظار طال . . وكان عليهم أن يشعروا بأن الكارثة قد حلت بأبشع صورها وأنهم قد عادوا إلى الشكل البدائى . بدون أى مظاهر للحياة المتطورة . وأن هذه الكارثة سوف تؤدى بهم إلى نتائج أكثر سوءا . .

قال أحدهم مهددا :

ـ إنها مؤامرة . . ولن نسكت عليها . .

(٨)

فوجئ أهل «مدينة الحكايات» بالعجوز يعود مرة أخرى ،

حـامـلا نخلته البيضـاء على كتفـه ، وكـان ظهـوره غريبـا فى تلـك اللحظات بالذات فسرعان ماجاءت الأخبـار عن مدينة «المتاعب» الراحـة سابقا التـى أصابتها الكـارثة ، وضاعـت منها كل مظـاهر الحضارة والتكنولوجيا .

استوقف على بابا «العجوز وسأله» :

ـ ماذا تفعل هنا . . المدينة فى كارثة . . ؟

نظر إليـه العجوز نظرة خـالية من المعنـى وهز رأسه بـلا مبالاة وقال : إنهم يستحقون ، فهم لم يقدروا قيمة ماوهبهم الله من نعمة .

واستوقفته أيضا « ست الحسن » وسألته :

ـ هل صحيح أن النساء فقدت ملابسها الأنيقة . . ؟

هـز العجوز رأسـه بـلا مبالاة وتـوجـه إلى قصر حكيـم مدينـة الحكايات الذى فوجئ به يدخل عليه . عاجله الرجل قائلا :

ـ هل عرفت . . لقد سرق خصمك المدينة ؟

وهنا ألقى العجوز بالمفاجأة الكبرى ، حين قال :

ـ بل أنا الذى فعلت ذلك . .

وبـرقـت عينـا « حكيـم »مدينـة الحكـايـات وهـو لايصـدق مايسمعه ، فمن المعروف أن هذا العجوز ينسلخ ويتحول إلى فارس بالغ القوة وشديد المراس ، حين يضطر أن يطارد «الشبح الأزرق» ،

خصمـه اللدود ، كـى يستعيد المعـانى الكبرى التـى يسرقها مـن المدن . مثلما حدث فى أكثر من مغامرة . . استعد الرجل وقال :

ـ ليس فى مدينة الحكايات لصوص . .

وسرعان مافهم «العجوز »مايقصده الرجل لذا قال :

ـ اطمئن ليس هناك لصوص فى مدينة الحكايات . .

بدا كأنه يطمئنه أنه لم يقم بسرقة التكنولوجيا من المدينة ، وهى عبارة عـن تطبيقات العلوم ، نظـر إليه كـأنه يستفهم مـاذا يقصد بالضبط . قال العجوز :

ـ لقد وصلت المدينة إلى حد كانت ستدمر فيه كل شىء . . إنه جنون استبد بالناس ، الذين لم ينتبهوا إلى أهمية مالديهم . .

وراح يشرح له أن الحرب المنتظرة بين الأطراف المتصـارعة كانت ستـدمـر كـل منجـزات الحضـارة ،وأنـه قـد تـدخـل لا ليـأخـذ التكنولوجيا ويقوم بإخفائها . بل ليمنع إسالة الدماء وما أغلى دماء البشر . .

سأل «حكيم المدينة » : حسنا فعلت . . لكن أين خبأتها . . ؟

وكان الجواب غريبا وغامضا . .

(٩)

استبد الغيظ بالشبح الأزرق حاكم المدينة الزرقاء ، عندما عرف أن العجوز قد سبقه وسلب مدينة « المتاعب» ـ الراحة سابقا ـ مالديها من تطور وتكنولوجيا ، وقرر أن يثبت مكانته . صرخ وجاءت صرخته على شكل كلمات مسطرة على الشاشة الموجودة على صدره :

ـ سوف أبيدهم جميعا . . سأقتلهم . . أنا أعرف أن هذا يضايق أبناء «مدينة الحكايات» .

وأصدر أمره بتشكيل جيش ضخم من الجنود الزرق وأن يتسلحوا بكل مالديهم من أسلحة متطورة يمكنهم بها الاستيلاء على سكان «مدينة المتاعب» ويتخذون منهم أسرى ويحولونهم إلى عبيد عليهم أن يصبحوا مواطنين صالحين فى المدينة الزرقاء .

بدت الأحداث وكأنها فرصة رائعة للشبح الأزرق أن يحقق مايريد ومايعتمل فى صدره من شر . سأل رئيس أركانه المسلحة :

ـ أخبرنى . . كم لديكم من الجنود الزرق الآن ؟

رد رئيس الأركان المعروف باسم «الداكن» :

ـ ليس لدينا سوى خمسين جنديا أزرق . .

بدا الأمر كأنه الصاعقة نزلت على «الشبح الأزرق » . تساءل :

ـ وأين الباقون . . ؟

وعرف الإجابة ، فالمدينة الزرقاء قد أرسلت الكثير من مواطنيها إلى بقاع متفرقة من المدن من أجل أن يثيروا المتاعب بين الناس فيتحاربون ويتقاتلون وتنتشر رسالة المدينة الزرقاء الشريرة . .

أحس « الشبح الأزرق » بالحيرة ، فترى ماذا يفعل ؟ هل يستدعى رجاله من مهامهم كى يشكل بهم جيشه القوى للسيطرة على مدينة « المتاعب » ؟

أحس بالتحدى وأنه يجب أن يستولى على المدينة المنكوبة بأى ثمن ، وركبه العند ، وقال لرئيس أركان حربه :

ـ أخبرنى كم يوما أمامك كى تجمعهم . .

رد الرجل : أربعة أيام . .

تنهد «الشبح الأزرق» وقال مغتاظا :

ـ إذن ، أمامنا خمسة أيام كى نسيطر تماما على مدينة « المتاعب» حسنا . . استدع رجالك فأمامنا مهمة عظيمة . .

(١٠)

وكان على العجوز أن يعود ثانية إلى مدينة « المتاعب » ، وعلى وجه السرعة . بعد أن أحس بخطورة مايمكن أن يحدث فى المدينة .

فسرعان ماتسربت الأخبار إلى «مدينة الحكايات» عما ينوى ،

«الشبح الأزرق» أن يفعله ، وأنه قد صدرت الأوامر إلى كل الجنود الزرق بسرعة العودة إلى مدينتهم من أجل تكوين الجيش الاحتياطى للاستيلاء على مدينة « المتاعب» .

ولم يكن هناك وقت للتفكير . بل للعمل .

ووسط الدهشة التى أصابتهم ، فوجئ أهالى مدينة « المتاعب» بالعجوز يظهر بينهم ، كان يرتدى ملابسه العادية التى يظهر بها عادة فى شوارع المدن .

وعندما ظهر كان الناس قد استوعبوا الكارثة التى حلت بهم لكن المشكلة أنهم أحسوا بفداحة الأمر، كل الأطراف معا ، وشعروا أن الأمر قد يكون سهلا على أى كائن لم يتذوق طعم الحضارة لكنهم عرفوا متعة الحياة مع منجزات التكنولوجيا والحضارة ، ولذا فليس من السهل أن يتأقلموا مع هذا الوضع الجديد .

قال أحدهم :

ـ هل تعرفون كم نحتاج كى نعود إلى الأمس . . ؟

ردت إحدى النساء الشهيرات : نحتاج إلى ثلاثين قرنا على الأقل . .

بدت كأنها تسد عليهم أى أمل . راحت المرأة تذكرهم بما جنت أيديهم ، وقالت إن البشرية قد اجتهدت طوال ثلاثين قرنا من أجل

أن تصل إلى هذه المكانة ، وإن الحضارة الحديثة لم تكن وليدة حضارة دون أخرى ، فعندما توصل إنسان إلى شيء « مفيد » للبشرية ، فإن كل البشر يستفيدون منه .

قال مواطن آخر : لماذا لانستورد الحضارة من المدن المجاورة ؟

وسرعان ما جاء الرد :

ـ لا . . فالكارثة من نصيبكم وحدكم . . وعليكم استعادتها بأنفسكم . .

. ولم يكن المتكلم سوى رجل عجوز . بدت لهجته غريبة فى ذلك الاجتماع البدائى الذى عقده أبناء المدينة فوق ربوة صخرية قاحلة . تحت قيظ الشمس الحارة . . نظروا إليه وقد علت الدهشة العيون . ولكن البعض أحس بارتياح لشكله . . لذا سأله أحد الحاضرين :

ـ هل تعرف الطريق . . ؟

وتطلعت العيون إليه فى قلق وهى تنتظر الإجابة . .

(١١)

قال العجوز :

ـ الطريق صعب ، وشروطه قاسية . .

بدا كأنه يفتح مسلكا ويسد طريقا بهذه الكلمات . لكن سيدة قالت :

ـ هل هو أصعب من حياتنا الآن . .

قال العجوز، كأنه يملأ قلوبهم بالهلع والحسرة :

ـ ليست حياتكم قاسية الآن . . بل ستكون بالغة القسوة فى الأيام القادمة .

سأل أحد الرجال فى عصبية : هل تواسينا أم تلومنا ؟

فجأة قاطعته إحدى السيدات : لكن أخبرنا من أنت بالضبط ؟

ابتسم العجوز، ولم يتكلم راح ينظر إليهم بعينين هادئتين وكأنه يرثى لأحوالهم ، ساد اللغط بين الناس . وشيئا فشيئا عم الهدوء كأن عليهم أن يسمحوا لهذا الغريب بان يتكلم فأسلوبه يبعث على الثقة والارتياح فى الكلام .

ما إن ساد السكون حتى قال كأنه قد بدأ يتملك زمام الأمور :

ـ علينا أن نعرف خطورة ماينتظرنا . . كى نتعلم التضحية من أجل الغد . .

كان يتحدث بنبرة غريبة . إنه يتكلم كأنه من سكان المدينة المنكوبة . ورغم الخوف الذى يحاول أن يبثه فى قلوبهم ، فإنه يضع أملا فى حل المشكلة . . قال أحد أبناء المدينة :

ـ هل سننتظر طويلا . . قرونا من الزمان مثلا . . ؟

قال العجوز : لو انتظرنا أكثـر من خمسة أيام فستتضـعف حدة الكارثة . .

وارتعدت القلوب . وكأنها تنتظر الحل . فلاشك أن خمسة أيام عمر قصير للغايـة فى حياة الأمم . وهم الذين يتـوقعون أن ينتظروا وأحفادهم قرونا طويلة ، هنا صاحت إحدى السيدات :

ـ أنا مستعدة للتضحية . . أن اموت فى سبيل وطنى . .

إنها امرأة مـن أنصار الفريق الثـانى ، فى تلك اللحظـات قال رجل من الفريق الأول :

ـ وأنا . . مستعد للتضحية . .

قال العجوز : لن نضحى بأنفسنا . . بل بفلذات أكبادنا . .

وارتجفت القلوب . فالصغار الذيـن يقصدهم هم المستقبل ، والأمل . فهـل يضحون بهم مـن أجل إنقـاذ الموقف . ؟ يـالها من مخاطرة ! !

(١٢)

قال العجوز :

ـ لـن ينقذ المدينة سـوى أبناء المستقبـل . . حتى يتذكـروا هذه المأساة، ويتعلموا منها ويعلموها لأبنائهم . .

لم يكن هناك وقت للتردد والتراجع . فأمـام حجم هذه الكارثة

المنتظـرة، راح الأهالى يفكـرون فى أن يفعلـوا شيئـا لم يعرفـوا كيـف ستكون التضحيـة ، لكن كـان على الآباء مـن الفريقين أن يختـاروا أربعة من خيرة الصبية كى يمارسوا لعبة التضحية .

وبدأت منافسات من نوع جديد .

منافســات بين أبناء الفريق الـواحد . بل بين أبناء المدينـة التى تكاتفت ونسيت أمسها المؤلم ، وأيضا بين الصبية والبنات من أجل أن يدخلوا لعبة التضحية . . وبـدا أنه من الشرف أن ينضم الأبناء إلى اللعبة الخطرة المنتظرة . .

وأمام المنافسـة الشديدة بين الأهالى ، وأيضـا بين الصغار، ولأن الوقت لايتسع لضياعه تم إجراء قرعة سريعة وقع فيها الاختيار على أربعـة من الصبيـة والبنـات الذيـن عليهـم أن يـدخلوا مصيرهـم المجهول بنفس راضية . .

وأعلنت الأسماء : رانيا وشهيرة وحازم وفادى .

أقبل العجوز نحـوهم وهو يبتسم، بينما دقـت القلوب رجفة ، فهل هؤلاء الصغار ينتظرهم مصير مجهـول ؟ هل سيصبحون قربانا من أجل انتهـاء الكارثة . لذا كـان من الغريب أن يبتسـم العجوز وهو يقول :

ـ هل أنتم مستعدون لأقوى مغامرة فى العالم ؟

ردت رانيا : ماذا تقصد ؟

بدت كلماته غريبة ، فأبناء مدينة « المتاعب ، الراحة سابقا ، لايعرفون ماذا تعنى المغامرة . تصورها أحدهم شيئا خطيرا ، أما شهيرة فقد تصورت أنها لعبة اليكترونية ستعود إليها من جديد .

قالت إحدى السيدات : بلادنا مسحت كلمة « المغامرة » من قواميسها منذ سنوات طويلة .

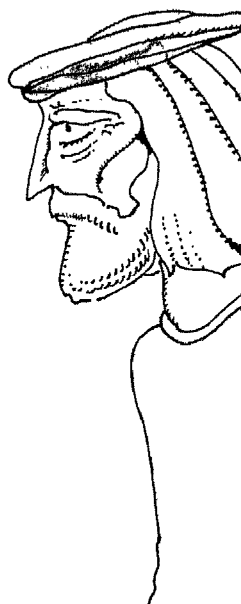
رد العجوز :

ــ إذن ، دعوهم لى . . سنجتاز المخاطرات الكبرى . . وسنتمتع كثيرا . وأتمنى أن نعود سالمين . .

وبدت الحسرة فى الوجوه . فهذا العجوز يشكك فى أن يعود الصغار من جديد، ترى ماذا هناك بالضبط . ؟

(١٣)

كان العجوز هو الشخص الوحيد الذى يعرف أين اختبأت مكونات الحضارة التى تناثرت فى خمسة أماكن سرية بعيدة ، لايعرف طريقها أحد سواه . ولن يعيدها أحد، أيضا سواه . . ورغم المخاطر التى لامثيل لها ، فإنه مستعد أن يصلح من غلطته باختطافه الحضارة والتكنولوجيا . وإطلاق سراحها كى تعود إلى أماكنها التى جاءت منها .

إنها هناك فى أماكن بعيدة . متناثرة . . ومن الصعب تجميعها ثانية . . فهذه الأشياء الغالية قد تراكمت لدى البشر من ألوف السنين ، الواحدة منها تلو الأخرى . ببطء شديد فى أول الأمر . . ثم زادت سرعة اكتشافها ، وفى القرن العشرين ارتفعت نسبة السرعة لدرجة أن الناس أطلقوا عليه اسم قرن التكنولوجيا .

لذا فعندما اختفت لم يكن يتصور ان تجميعها سيكون من دروب المستحيل . . إنها هناك مبعثرة فى وديان تفصلها مسافات شاسعة مليئة بالمخاطر . .

ولحسن الحظ فإنه يعرف الطريق إلى أول واد . وادى الأحجار المقدسة إنه مكان بعيد ، لكن من السهل بالنسبة له أن يصل .

هاهو الخوف لايزال يسيطر على الأصدقاء الأربعة الذين سيرافقون العجوز فى رحلته المثيرة . فلا أحد يعرف ماذا تعنى الأشياء التى ينطق بها ، خاصة حين قال :

ـ اسمعوا ياأصدقائى . . لاتنزعجوا حين ترونني وقد انسلخت . .

بدت كلماته غريبة ، فماذا يعنى بالضبط . . وكى يهون عليهم الأمر قال :

ـ أقصد عندما أتغير . .

وخارج مدينة « المتـاعب » بدأت الرحلة . لم يكن أمـامه سوى استخدام البساط الاليكترونى الذى يسابق الرياح العاتية، ويقطع المسافات الطويلة فى أقصر الأزمنة .

وما إن طار البساط فى الجو حتـى ملأت الحسرة قلوب الراكبين عندما رأوا شكل المدينة من الجو ، وقـد تحولت إلى كهوف حجرية كـان يعرف أن عليـه أن يعـود قبل خمسـة أيام مـن أجـل مواجهـة «الجيش الأزرق» الـذى لايمكن لشـىء أن يصـده سـوى الإيمان والتطور والتكنولوجيا .

ولـذا ، تولـدت الـرغبة قـوية فى ان يتحقـق هـدف الرحلـة . وانطلق البساط بسرعة هائلة نحـو اللازمان واللامكان، إلى حيث بلاد الفنطـازيا المثيرة المليئـة بالألـوان المثيرة التى لم يسبـق لبشر أن رآها . والتى تخفى، وراءها مغامرات أكثر إثارة من الخيال . .

(١٤)

إنها حرب حقيقية ولكن من نوع غريب . .

فسرعان ماصـدرت الأوامر العليا لأبناء «مدينـة الحكايات» ان ينتشروا فى المدن مـن أجل عـرقلـة عمليـة تجميع الجيـش الأزرق، وأصبح أمـام كل مواطـن من هذه المدينـة مهمة مقدسـة ، هى أن يمنع تماما أعضاء «الجيش الأزرق» من العودة إلى بلادهـم . .

انتشرت الأخبـار عـن طـريـق المنـدوبين السـريين بين مـدينـة الحكايات والمدينة الزرقاء . . وعلم «الشبح الأزرق» بما تنويه مدينة الحكايات ، فأصـدر أمره إلى رجاله بالتخلص فـورا من أى مواطن مـن هذه المدينـة يشـاهـد فى أى مكان فى العـالم . . فى كـل المدن والقرى والكفور . .

وبـدا كـأن أول حرب مـن نـوعهـا سوف تنـدلـع بين المدينتين الكبيرتين . .

وأحـس« الشبـح الأزرق» أن عليـه تغيير خططـه تمامـا . وأن يستولى على المدينة المنكوبة بأسرع وقت وبأساليب مغايرة . . فقال لرئيس أركان حربه :

ـ لقد قررت أن أنتقم منهم بالتكنولوجيا الضائعة . . سأعيدها إليهم . . ولكـن هل تعرف مـاذا سأعيد؟ سـأعيد لهم تكنولـوجيا الدمار . . القنابل النووية والأسلحة الكيمياوية . .

ظهرت كلماته على الشـاشة كأنها حروف النار تندلـع . وتندفع وأخيرا ضحك ، كـانت قهقهته غريبـة ، ورغم ذلك ابتسـم رئيس الأركان .

يالـه من شرير فعـلا! لقد قـرر أن يطارد العجوز مـن أجل أن يمنعه من إحضـار كافة رموز التكنولـوجيا المتناثرة هنـا وهناك فهو

الوحيد الذى يعرف الطريق . . وكان فى نيته أن يحضر فقط الضار من التكنـولوجيا ، لاليستولى بها فقـط على المدينة المنكوبـة . . بل وليجعـل العـالم كله فى نفـس الحال . يحارب بعضـه ويسعـى إلى الدمار .

وأمر بأن يخرج جنوده الخمسون الباقون فى المدينة معه . إنهم من حرسـه الخاص ويعرف انهم لايرفعون سـلاحا ، إلا وحولوا المعـركة التى يدخلونها إلى دمار حقيقى .

وبدأت المعركة المثيرة . .

(١٥)

تعمد العجـوز أن يجعل الصغار يعيشـون فى جو حـالم ، مليئ بالمشاهد الـوردية ، فهو يعرف أنهم أكثر سذاجـة وبراءة من أطفال المدن الأخـرى . ولذا فلـم يحب أن يصدمهـم ، بل ود أن يجعلهـم سعداء هـانئين . فهو الـوحيد الذى يعـرف أى خطر هـم مقبلون عليـه ، إنهم جميعـا غير مـدربين على القتـال والمواجهـة وليسـوا مستعدين للمغامرة . بل ولايعرفون معناها . .

انطلق «البساط الالكترونـى» بكل سرعته حاملا فوقـه مجموعة المغامرين ولايعـرفون إلى أين يذهبون عدا العجـوز الذى راح يدعو الله أن يوفقه فى رحلته .

إنه يعرف أن «القـط الشارد» الذى سلمه التكنولـوجيا فى خمسة أكياس مصنوعة من فتائل الذهب قد وصل الآن إلى هدفه وعليه أن يستعيد الأكياس الواحد وراء الآخر .

فجـأة بدأ الأفـق يتلـون بلـون قرمـزى غـريـب الشكل هتـف «فادى» :

ـ ماهذا . . انظروا . . ؟

هلعت « رانيا » وهـى تردد : يا إلهى . لم أر شيئا مثـل هذا من قبل . .

كان الأفق قد تحول تماما إلى اللون القرمزى . وكأن هناك حريقا هائلا قد اندلع صاحت شهيرة :

ـ كأنها غابة النيران . .

رد العجوز : بل هى كذلك فعلا .

سأل حازم : هل سنطفئها . . ؟

لم يشأ العجوز أن يغلف الأمور بغموض يزيد من حالة الحيرة ،

ـ بل سنشعلها ! !

وكاد الصغار أن يـرتدوا إلى الخلف . فهذا يعنـى أى خطر هم مقبلون عليه ، لم يكـن هناك وقت للتراجع ، فـالبساط الالكترونى يندفع بقوة ، وكـأنه سوف يقفز داخل الأفق القـرمزى الذى أصبح

أكثر قربا . صرخت شهيرة :

ـ يا إلهى . . نكاد أن نحترق ! !

ورد حازم هلعا : بل نحن نحترق .

كانوا قد دخلوا بالفعل داخل المنطقة الملونة ، وشاهدوا النيران تتأجج كأنها سوف تجذبهم جميعا تحرقهم .

(١٦)

وبحركة بالغة المهارة . ارتفع «البساط الألكترونى» إلى أعلى . وأفلت باعجوبة من ذلك اللهب القرمزى الذى أطلقه التنين الأعور نحوه .

لقد دخلوا وادى الحجر المقدس . الذى يحرسه هذا التنين صاحب الألف لهب ، فكل نفس ينطلق منه عبارة عن ألسنة النيران يمكنها أن تحرق أى شىء ، خاصة بمجرد أن يقترب أى شخص غريب . .

هنا أمسك العجوز مكبر صوت صغير وانطلق ينادى :

ـ أيها التنين . ألا تعرفنى . لقد أرسلت لك «القط الشارد» ومعه الأكياس .

وهنا انطلقت صرخة التنين معبرة عن الفرح والكراهية ، ثم جلجل صوته فى الأفق ، وقال :

ـ رائع . . إنها بضاعتنا رجعت إلينا . .

صاح العجوز فى مكبر الصوت :

ـ إنها أمانة . . يجب أن نأخذها . .

بغضب شديد ، جاء صوت التنين الممزوج باللهب المنطلق حول « البساط الألكترونى » :

ـ قلت لك إنها بضاعتنا . . الحجر المقدس سعيد الآن . .

إنه يتكلم بكل جدية ولايمزح . إذن فالأمر جاد، فهنا كان أول مكان عرف الإنسان فيه فائدة النيران . وهنا قام أحد الأجداد ذات يوم بحك قطعتين من الصخر ببعضهما . واستطاع أن يولد أول شرارة نيران واستخدمها فى تطوير حياته فى الطهى ، والتدفئة منذ ذلك الحين وحتى الآن . .

إذن فالتنين الأعور على حق حين قال إن بضاعته رجعت إليه فلاشك أنه سعيد لأن الشرارة الأولى رجعت إليه ثانية . تلك الشرارة التى توزعت فى كل أنحاء العالم ، بعد أن عرفها الإنسان واستطاع بها أن يقيم أولى خطوات الحضارة .

كان هم التنين هو أن يبعد «البساط الألكترونى» عن الوادى بأى ثمن ، لذا راح يزمجر بكل مالديه من قوة فانطلقت النيران من حوله ، بل إنها لمسته ، ولولا اندفاعه بكل قوة لاحترق . صرخ

الصغار فى داخل البساط وصاح أحدهم فى ذعر :

ـ نريد أن نعود إلى بلادنا . .

رددت شهيرة :

ـ لانريد أن نحترق . .

وارتبكت الأمور بزيادة الصراخات ، وبدا كأن العجوز سوف يمتثل . وقرر أن يعود من حيث جاء أمام إلحاح الصغار . . إنها المرة الأولى فى تاريخ حكايات الفنطازيا التى يقرر فيها أن يعود دون أن يحقق هدفه . .

(١٧)

فجأة رآه بجيوشه . .

إنهم قادمون وراءه . . إنه «الشبح الأزرق» وحرسه الأشداء . أحس أن معركة سوف تبدأ وأن أى مواجهة لن تكون أبدا فى صالحه فسوف يدفع هؤلاء الصغار حياتهم لو حدث أى اشتباك .

وتوقف «البساط الألكترونى» فى الجو . . وأحس العجوز بحيرة وراح يفكر بسرعة ، وتذكر طارق بن زياد حين خطب فى جنوده : «البحر من ورائكم والعدو أمامكم » ، ثم قرر أن يختار بين أمرين إما أن يعرض الصغار لمعركة غير متكافئة ، أو يعود ثانية نحو وادى الحجر المقدس حيث توجد أول حجارة أشعلت النيران

فوق سطح الأرض .

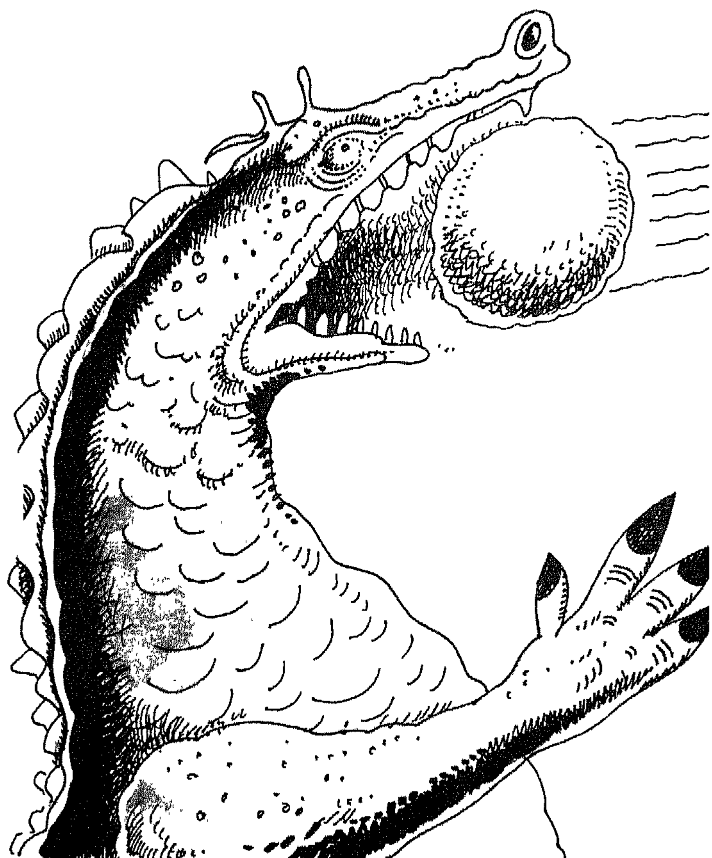
وقرر أن يدخل الوادى بأى ثمن . .

ودار «البساط الألكترونى» نحو النيران القرمزية المنطلقة من فم التنين، وتحركت دوامة اللهب بسرعة، ووسط هلع الصغار كان أمام العجوز أن يتصرف وأن يجعلهم أكثر ثقة فيما يحدث أمامهم . قال بصوت أجش لم يسمعوه من قبل :

ـ لاتندهشوا . .

ولم يستطع أن يمنعهم من الدهشة . وهل فى إمكان أحد أن يمنع إنسانا من الدهشة؟ خاصة مجموعة من الصبية وجدوا أنفسهم أمام ثلاث مخاطر مثيرة للغاية . تلك النيران القرمزية التى توشك أن تطولهم . وذلك «الجيش الأزرق» الذى يطاردهم . ثم العجوز الذى لم يصبح عجوزا بعد ، بل راح ينسلخ إلى إنسان آخر، يبدو مفتول العضلات قوى الجسد . يرتدى زى المحارب، يمسك بين يديه سيفا ضخما لايمكن لأحد أن يحمله إلا أبطال رفع الأثقال .

انتصب جسد «الفارس النادر» ثم راح يوجه سيفه نحو الأفق وبكل مالديه من قوة ، سحب طرف السيف الذى تحول إلى قوس ضخم فى طرفه كرة بيضاء أشبه بالثلج . وبلغت الدهشة حدها .



وهـم يرون العضـلات المنتفخة ، وهـى تكاد تنفجـر أسفل جلـد الفارس الذى أطلق السهم ، فانطلق فى الأفق محدثا صفيرا عاليا .

كان هـذا المنظر وحـده كفيلا أن يثير الـرعب فى قلـب «التنين الأعـور» الـذى استطاع بعينـه الـواحـدة أن يـرى كرة الثلـج وقـد تضخمت كلما دارت فى الأفق ، وراحت تتناثر داخل اللهيب الذى يطلقه من فمه .

لم يمكنه أن يفكـر فقد أعجـزته الـدهشة عـن التفكير . وبدا كأنه يستسلم لمصيره .

(١٨)

ارتبك «الشبح الأزرق» وجنوده وهـم يشاهدون الأحداث تسير بمثل هذه السرعة والإثارة . فقد انطلقـت كرة الثلج بكل قوة نحو النيران . ثم غيرت اتجاهها بسرعة ، واندفعت نحو فم التنين المفتوح وغاصت فى أعماق جوفه خلال ثوان قليلة .

بكل ثقة ودون أن يلتفت إلى الصغار ردد «الفارس النادر » :

ـ هذه الكرة الثلجية تنمـو كلما اقتربت من النيران حتى تحدث مفعولها .

بدا كـأن «الفارس النادر» قد تملـك زمام الأمور . وعلى مسـافة غير بعيـدة وقـف الجنود تحت قيـادة «الشبـح الأزرق» ينظـرون فى دهشة والذى ردد فى أعماقه :

ـ آه . . لقد نسيت أنه واسع الحيلة . .

وتذكر المغامرات السابقة . فكم هزمه «الفارس النادر ». لكن هذا لم يمنعه أبدا أن يطارده مجددا ، خاصة أن تصديه هذه المرة يجعله فى موقف حرج أمام اتباعه . وشعر أن القضاء عليه حتمى .

رأى «الشبح الأزرق» كيف ابتلع التنين الكرة الثلجية ، وسرعان ما راح بطنه يؤلمه ، وبدأت ألسنة اللهب فى الخفوت شيئا فشيئا حتى تلاشى اللون القرمزى الذى غطى الأفق .

فى تلك اللحظات صاجت رانيا :

ـ لقد اختفت النيران . !!

ردد الفارس النادر : لاتفرحوا . . فنحن لانريد للنيران أن تنطفئ . .

وهنا تذكر الصغار ما ألم بمدينتهم المتطورة ، إنها الآن محرومة من النيران ، ولاشك أن ذويهم يعانون كثيرا بدون هذه النيران. فجأة تنبه «الفارس النادر» أن خصمه اللدود «الشبح الأزرق» موجود وراءه فانطلق نحو التنين ، وأمسك مكبر الصوت وقال :

ـ أيها الأعور . . أين خبأت الكيس الذهبى . .

لم يتمكن التنين من الرد ، فقد كان يتلوى ، وأخذ يتوعد أنه سوف ينتقم منهم جميعا ، أما الفارس النادر فلم يكن لديه وقت

ليشرح أن الأمـر جـد خطير، فـلاشـك أن انطفـاء النيران فى هـذا الوادى أمر بالغ الخطورة ، وهو يعنـى أن العالم كله كفيل أن يعانى من نقص فى النيران وهو أمر بالغ الخطورة .

لذا عليـه أن يعيدالنيران بأقصى سرعـة . . وأن يتصرف بحيث لايصل «الشبح الأزرق» إلى الكيس الذهبى الذى عليه أن يضع فيه الحجر المنشود . .

اقترب البسـاط الألكترونـى مـن التنين وسرعـان مـا انكشـف الغطاء الشفاف الذى كان يغطيه، وقال :

ـ اسمع يا أعور . . اعطنا الكيس الذهبى . .

وبصوت يثير الرثاء، قال التنين :

ـ ألا ترانى أتالم . . أخبرنى من أين جئت لى . .

. (١٩)

وسرعان مـاتم الاتفاق . بدت النيران كـأنها ستخبو للأبـد من بطـن التنين وهنا ظهـرت الأحجـار فى الوادى . إنها أحجـار كثيرة متعددة الأشكـال ذوات لون قـرمزى مميـز ، لكنها تكـاد أن تفقد بريقها بعد أن خبت النيران، أو تكاد فى الأفق . .

أسرع «الفارس النـادر» بالقفز مـن فوق البسـاط الألكترونى ، بينما بقى الصغار ينظرون فى دهشة دون أن يكون لهم حول أو قوة .

أحس «الفـارس النادر» بـالأرض تتأجج مـن تحته ، أسرع بـالتقاط حجرين كبيريـن ثم التفت إلى التنين وقال وهـو لاينوى أن يمسك بالحجرين :

ـ لاتكن عنيدا . اعطنى الكيس الذهبى .

إنه يعرف أن مـن المستحيل أن يمسك بأى حجر قرمـزى بيديه وأن الكيس الـذهبى هو الشىء الـوحيد الذى يمكن أن يضـع فيه الحجرين القرمزيين .

إنه يتـألم بشدة ، فالكرة الجليـدية تتحرك فى أحشـائه وتكاد أن تتمكن من إطفاء ألسنة النيران الأخيرة ، بدا التنين عنيدًا للغاية ثم تمدد فـوق الأرض ، بينما كان الجنـود الزرق يـرقبـون المشهد كـأنهم ينتظرون اللحظة المناسبة للدخول :

فجأة سقط الكيس الذهبى ، صاحت شهيرة :

ـ انظر . . هذا هو الكيس . .

التفت الفـارس نحو الكيـس الذى سقط مـن أحد حـراشيف التنين، بدا لامعـا ، أراد حازم أن يقفز كـى يلتقط الكيـس ، لكنه أحس بالنيران المتبقية تكاد أن تحرقه .

بدا المنظر مهيبا ، فهذه الأحجار تكاد تفقد بريقها ، وهذا دليل أن النيران بدأت تخبـو ، إنه مـوقف بـالغ الخطـورة فعلا . بسرعـة

انـدفع «الفـارس النـادر» والتقـط الكيس الـذهبـى ثـم وضع فيـه حجرين صغيرين ، وردد :

ـ هذا كيسى . . ؟؟

فى تلك اللحظات ، عادت الأشياء تتحـرك بإيقاع أكثر سرعة فقد أمر« الشبـح الأزرق» رجاله بأن يطلقوا سهامهـم نحو البساط الألكترونى ، وان يـدمروه من أجـل الحصول على الكيس الـذهبى بـأى ثمـن ، وفى نفـس الـوقت كـادت النيران ان تخبـو تمامـا مـن الوادى ، ووجـد الفارس النـادر أن عليه ان يتصرف قبـل أن تفلت الفرصة .

ولم يكن لأحد أن يعرف من سيكون المنتصر ولا متى سيحدث فى هذا الجو المتأجج ؟

(٢٠)

وبكل سرعـة ، أخرج سيفه وراح يـوجهه نحـو التنين ، وبكل مهـارة داس على طرفـه ، وقد تحول إلى قـوس عمـلاق وسرعان مـا استطاع أن يسحب كرة الجليد من بطن التنين الأعور الذى انتفض وانطلقت منـه النيران التى حـولت المكـان كله إلى كتلـة من النيران القرمزية .

صرخ التنين :

ـ سوف أريك أيها «الفارس النادر» . . سأحرقك . . وأطاردك حتى نهاية العالم .

انـدفعت ألسنـة اللهب المتـأججة مـن فم التنين، بينما ارتبـك «الفارس النـادر » الأزرق لهذه المفاجـآت غير المتوقعـة، وسيطرت النيران على الأفق بينما صـاح «الفارس النـادر» كأنـه يهدئ من روع رفاقه الصغار :

ـ لاتفزعوا . . سوف نهرب . .

وانطلـق البسـاط الألكترونـى، يحاول الخروج مـن دائرة النيران بأسرع وسيلة ممكنة . بينما بدا التنين كأنه قرر مطاردة الفارس ورفاقة إلى نهاية العالم .

وفى داخل« البساط الألكترونى»، كـان التنين قد قرر أن يفعل شيئا فعليـه أن يعيد على وجـه السرعة الكيـس الذهبـى إلى مدينـة «المتاعب» ـ الـراحة سابقا ـ من أجل أن تـرجع النيران، ولعل هذا يعطى الثقـة فى قلوب السكان قبل مـواجهة الجيوش الزرقـاء والتى يمكنها الحضور خلال الأيام القليلة القادمة .

قال يسأل :

ـ هل تعلمتم المغامرة ؟

رد فادى : إنها لذيذة . . بل رائعة . .

بدا الحماس على وجـه الصغار ، وشعـر الفارس أنـه يمكنه أن يستعين به فى أمر خطير . قال :

ـ هل أنت مستعد للمغامرة وحدك . . ؟

لم يشأ أن يرفض فقد وجد نفسه فى قلب المغامرة ، وأحس بطعم البطولة لأول مرة ، لذا قال : اطلب وستجدنى فارسا مثلك . .

قال الفـارس : إذن عليك أن تعود وحدك . . ومعـك الكيس الذهبى . .

بدا كـأنه يطلب المستحيـل ، فكيف يمكنه أن يعـود وحده إلى مدينتـه وسط رجال «الشبح الأزرق» المتربصين بـه ، ووسط النيران التى تكاد أن تلامس البساط الألكترونى .

لم يكن هناك وقت للقبول أو الرفض ، أو التردد . بسرعة أخرج «الفارس النادر »من مخلاه البيضاء مظلات جوية راح يضعها حول ظهور الصغار الثلاثة : رانيا ، شهيرة ، وحازم . ثم قال :

ـ اطمئن ، كل شىء مبرمج . .

وتركـوا فادى وحـده وقفزوا فى الفضـاء وسط النيران المتـأججة والأخطار الحقيقية .

(٢٠)

كان مشهدا مثيرا للغاية . .

فقد دفعت الـرياح الساخنة الناجمة عـن النيران ، بالمظلات إلى



مسافات بعيدة بينما انطلقت الجياد الطائرة التى يركبها الجنود الزرق خلف المظلات ، أما البساط الألكترونى فقد اختفى تماما عن الأنظار.

إنه مبرمج لكل المهام . . فما ، إن ابتعد عن العيون حتى انطلق عائدا نحو مدينة « المتاعب » حاملا « فادى » ومعه الكيس الذهبى وبداخله الحجران القرمزيان ، من أجل إعادة النيران إلى المدينة المنكوبة .

وقف «الشبح الأزرق» فى حيرة وهو يرقب المنظر، ثم أشار إلى رجاله أن يطاردوا «الفارس النادر» دون أن ينتبه إلى عددهم وأنهم نقصوا الآن واحدا . لقد تصور أنهم قد قفزوا فى الفضاء بعد أن أحرقت النيران البساط الألكترونى .

وبينما أمر «الشبح الأزرق» رجاله أن يطاردوا الفارس ورفاقه ، أحس التنين الأعور بالغيظ الشديد ، ليس فقط لأنه فقد الكيس الذهبى، بل لأن «الفارس النادر» قد أصبح الآن بعيدا عن دائرة سيطرته . . لكنه ردد :

ـ لاتفرح كثيرا يا « نادر » لقد وصلت إلى الوادى الأملس . . وسوف أرسل لك صديقى الحميم « الديناصور العصبى » .

الوادى الأملس . ياله من مكان بالغ الخطورة . إنه هناك ممتد

على مدى البصر ، لايمكن له أن ينتهى ، والذى يسقط فوقه سوف ينزلـق إلى الأبد دون أن يتـوقف . إنه مليـئ بالمنحـدرات الخطرة ، وأيضا بالسطوح الملساء الناعمة .

قبل أن تلمس أقدامهم الأرض ، صاح حازم :

ـ إنه الجليد . .

ثم سقط فـوقه وعلى الفور انزلقت قـدماه واندفع يتـزحلق عليه ومالبث أن تبعه كل من رانيا وشهيرة . بينما صرخ «الفارس النادر» :

ـ حذار . . تماسكوا . .

لم يكن يعرف أنه قد وصل إلى الوادى الأملـس . بل كان يتصوره وسط الضباب الكثيف الذى خلفتـه النيران أنه سينزل فوق الوادى المنحدر . ولم يكن لديه وقت للدهشة ،ولا حتى للاستجواب فقد انزلق الأربعة نحو مجهول لايعرفون أين نهايته بالضبط . .

وفى أعلى المنحـدر انطلقت ضحكـات «الشبح الأزرق» الـذى قل أن يضحك وهو يرى خصمه اللدود قد وقع فى شرك لامخرج منه قط .

(٢٢)

إنـه واد بالـغ الخطورة . . هنـا حيث لاشـىء يمكن ان يبقـى ثـابتا . حيـث لايـوجد أى احتكـاك يمكـن أن يمنـع الأشياء مـن الاندفاع .

ولذا انطلـق الأربعة . . فى البدايـة أصابـت الصغار حالـة من جنون الضحـك ، تصوروا أنفسهم يتـزحلقون فوق الجليـد ، وبدا الأمر كـأنه لعبة جـذابة تبعث على التسليـة . ثم مالبثـوا أن أدركوا الخطر فهم لايمكنهم التوقف مهما كانت القوى التى تعترضهم .

ولذا راحوا يصرخون . وتعالت صيحاتهم مثيرة للاشفاق . .

ولكن هـذا لم يوقفهـم فكأنهم يضعـون زلاقات فى أقـدامهم أو يلبسون عجلات صغيرة تنحدر بهم . وراحت القلوب تدق بعنف وصاحوا جميعا :

ـ النجدة . . النجدة . . نحن فى خطر !!

كان «الفـارس النادر» يتزلج وراءهـم ، وبدا كأنه فقـد السيطرة على نفسـه ، بينما طـارت الجيـاد حاملـة الجنـود الـزرق وزعيمهـم «الشبح الأزرق» ، وقد أحسوا بـالشماتة الشديدة فيما يحدث لهم ، أدرك الفارس أن عليه ان يتصرف بأى ثمـن . فلاشك أن اا الصغار فى حالة رعب شديدة .

وبينما الأمور تتحرك بهذه السرعة الجنونيـة اخرج سيفه الممشوق وراح يفرده فى الهواء وتناثرت مظلته وراءه . . ثم قفز بالسيف بكل مالديه من قوة .

علا السيـف فى الهواء . واقترب من الجياد الطائرة التـى راحت تصهل فى فزع شديد . صاح« الشبح الأزرق» :

ـ امسكوا هذا السيف . . إنه رمز القوة . .

لكن الجيـاد الخائفة لم تجرؤ على الاقتراب منـه ، وهو فى طـريقه نحـو الأفق ، ثـم نزل مـن أعلى ، وانغرس فى الأرض الملسـاء بينما اندفع الفارس النادر بكل قوته وقد بدت المظلة التى تعلق بها تعاند الريـح . وبكل مهارة لاتعادلها أى مهـارة فى الدنيا ، تمكـن من ان يسـابـق الصغـار واقترب من السيـف المغـروس فى الأرض الملسـاء وامسك به .

كان مشهدا مهيبا يستلزم عضلات أقـوى من الجبال العالية ، بدت قـوة الانـدفاع متنـاقضة مع قوة العضـلات واندفعت الـريح تصرصر . وقبضـت يداه على مقبـض السيـف ، وتنـاثرت المظلـة بحبالها الطويلة لمسافة طويلة . ثم راح «الفارس النادر» يلف بكل مهارة حول السيف التفت أحبال المظلة ، حول سيقان الصغار بينما صاح «الفارس النادر» :

ـ تماسكوا . . حذار أن تقعوا . .

بدا المشهـد مهيبا للغايـة . وكان مـن الواضح أن الصغـار لن يمكنهم أن يتماسكـوا مع قوة الانـدفاع الـرهيبة ، رغم قـوة أحبال المظلة .

(٢٣)

هبط «البساط الألكترونى» فجأة فوق أطلال المدينة المنكوبة . .

بدا الحال مثيرا للرثاء فى تلك اللحظات ، فالليل بارد وبالغ القسوة ، وأبناء هذه المدينة اعتادوا استخدام المدافئ وأجهزة التكييف فى بيوتهم التى اختفت .

وحول المدينة المنكوبة ، نقصد الكهوف ، اقتربت الذئاب تريد ان تبحث عن فرائسها . وكانت ذئابا جائعة . وتوقع أبناء المدينة أن تقوم معركة غير متكافئة بينهم وبين الذئاب ، ولذا راحوا يتكاتفون معا ويلتفون حول بعضهم من أجل رد الخطر.

وما إن نزل « فادى » من فوق «البساط الألكترونى» حتى صاح فى أهله وأبناء المدينة الباردة المظلمة الخائفة :

ـ ابشروا فقد أحضرت الحجر القرمزى . .

لم يتبينوا ملامحه وسط الظلام . ولم يفهموا شيئا مما قاله . لم يتصور أحد أن النجدة قد جاءتهم .

امسك فادى بقطعتى الحجر القرمزى ، وراح يقترب من الأرض حيث بقايا الأعشاب وقام بحك الحجرين معا بكل حماس وقوة ، حماس الذئاب التى كادت ان تقترب وهى تزأر بوحشية وتكاد تدخل من أبواب الكهوف العديدة . .

صاحت أم فادى غير مصدقة ماتراه .

ـ ابنى . . لقد عاد . .

واندفعت نحوه فى الظلام وقد تملكتها لهفة الأم أن تحمى ابنها

من الذئب القادم نحوه يكـاد أن ينهشه ، بينما أخذ يحك الحجرين بكل قوة فجأة اندفعـت شرارة النيران نحو الأعشاب ، وسرعان ما اشتعلت ، بينما اقتربت الأم تحاول أن تمنع الشر عن ابنها .

وكانـت مفاجأة أن اشتعلـت النيران فى الأعشاب . ثـم راحت تتحرك فى المكان ، وسرعان ما ارتدت الذئاب إلى الخلف خائفة من النيران . .

عانقت الأم ابنها وهى تبكى ، بينما غمرت الفرحة القلوب وهى تشاهـد النيران تشتعل من حـولها . فالآن يمكنهم أن يتـدفئوا وأن يطردوا الذئاب وان يطهـوا الطعام المتوفر لـديهم ، وان يضعوا ذلك الحمل الـذى ذبحوه وكـادوا أن يأكلوه نيئـا ، وجذب لحمـه شهية الذئاب .

صاح رجل من أبناء المدينة وهو يشاهد هذه المعجزة الغريبة :

ـ يا إلهى . . لقد أعدت إلينا أول مظاهر الحضارة . . النار .

وراح يطلـب منهم ان يجتمعـوا للصـلاة ، لشكر الله على هـذه النعمة التى جاءتهم على حين بغتة .

(٢٤)

كان صوت « الفارس النادر » مهيبـا ويدفع من يسمعه أن يسترد ثقته بنفسـه ، ولذا تماسـك الصغار المنزلقـون ، ولم يقع أحـد منهم فـوق الأرض حين التفـت الأحبـال حـول سيقـانهم وتمنعهـم مـن

الاستمرار فى الانزلاق . صاح الفارس :

ـ رائع يا أبطال ! !

أحسوا أنهم أبطال فعـلا ، بينما شعر الفرسان الـزرق أن الفرصة قد حانت كى يصطادوهـم من أعلى ، فسأل رئيس الأركان «الشبح الأزرق» :

ـ سوف نرميهم بالنبال . . مارأيك ؟

وجـاء رد «الشبـح الأزرق» حـازمـا على شـاشتـه المعلقـة على صدره :

ـ ليس قبل أن نحصل على العجلة الحديدية . .

لم يكن هناك وقت للرد ، ففـى تلك اللحظات تحطمت القشرة الأرضية تحت السيف المغروس فوق السطح الأملس ، وتكسرت تماما وبدا كأن هناك وحشا عملاقا راقدا هناك ، وأن السيف قد انغرس فى ظهره ، فأيقظه من نومه الطويل .

تكسرت القشرة وراح الصغار ينقلبون فوق المنحدر الذى صنعه ذلك الوحـش العملاق الذى كان نائما فى تجويـف الجبل . وتعلق «الفارس النـادر» بسيفه فـارتفع معـه حين نهض الوحـش ونصب قامته العالية ، بعد أن أزاح عنه كل الوادى المنزلق ، وراح يزمجر بينما هتف« الفارس النادر» :

ـ ياإلهى . . إنه الديناصور العصبى . .



ويالـه من عصبـى ذلك الـديناصـور العملاق ، خـاصة حين ينغـرس السيف فى ظهـره ، تحرك ذات اليمـن وذات اليسار بكـل غضب ، وكأنه يتألم من الغـرس الذى فى جسمه . وهو يحرك رأسه كأنه غير قادر على السيطرة على الموقف .

دفع ذيله بكل عنف ، يريد أن يضرب به «الفارس النادر» لكن ذيله لم يطله . حاول أن يهتز بكل قـوة لعله يسقطه ، لكن الفارس وضع كـل قوته فى يديـه ، وتعلق بالسيـف كأن هذه هى الطـريقة الوحيدة لعدم السقوط من أعلى .

ووسط محاولتـه للسيطرة على الموقـف كان ينظـر نحو المنحـدر ورأى الصبية يتساقطون ، فأحس أن عليه ان يتدخل قبل أن يتفاقم الأمر . ولكن الأمر بـدا وكأنه فلت زمامه ، فها هو الـديناصور قد بلغ به الغضب أشده . وهـو على استعداد أن يدهسه ، حتى وإن اضطر أن يرقد فوق الأرض ويحطمه تماما .

وبالفعل سرعـان ما ارتمى فوق الأرض ، وكأنـه يود أن يتخلص من آلامـه حتى ولو اضطره أن يفعـل أى شىء مجنون فى الـدنيا . . وبينما هـو يرتمى نحـو الأرض أشار «الشبـح الأزرق» إلى رجالـه أن هذه هـى الفرصة الأنسـب للتخلص من خصمـه الأزلى «الفارس النادر» .

قبل أن يرتمى «الديناصـور العصبى» فوق الأرض . أطلق أحد الجنود الزرق من مسـدسه الليزر طلقة أصابت الـديناصور فى كتفه فانطلق يزمجر واشتد غضبه، ولم يكـن أمام «الفارس النادر »سوى ان يقفز من أعلى بكل مالديه من مهارة .

ووسط غضبتـه تمكن الـديناصـور أن يمد زوائده ، وان يسقـط ثلاثة من الجنـود الزرق فوق الأرض، وسرعان ماتولـدت لديه رغبة قوية فى الانتقام وشهوة للثأر . .

لكن «الفارس النادر »، كان قد وصل فى تلك اللحظات نحو أرض المنحدر سالما بعد أن هبط مستخدما عباءته كمظلة، وأصبح كل همه ان يـوقف انحدار الصغـار بكل ما لـديه من قـوة . . كان أهم شىء بـالنسبة له هو أنه استطـاع أن يتخلص من المأزق، وأن يخرج سيفه من جسد الديناصور الذى ظل نائما تحت سطح الوادى الأملس عشرات الألوف من السنين . .

الآن ، هذا هو «الديناصور العصبـى»، وقد استبد به الغضب يريد ان ينتقم ممن أيقظه بأى ثمن . لذا اسرع نحوه يريد أن يدهسه تحت قدميـه وجسمه الثقيل ، وبـدا كأن سباقـا شرسا قد بـدأ ولن ينتهى . .

مرة أخـرى، فكر فى أن يلتقـط الصغار قبـل ان يلحق السـوء بهم، ولما كان قـد تخلص من مظلته ولم يعـد أمامه سوى عبـاءته ،

فإنه راح ينثرها فى الهواء وتطايـر معها ، حتى وصل إلى سفح الجبل وأخذ ينتظر وصول الصغار الذين كانوا ينحدرون بشدة .

قالت شهيرة لاهثة بعد أن التقطها الفارس :

ـ ماذا حدث . ؟ نكاد أن نموت . .

وهتف حازم : الحمد لله . . لقد وصلنا . .

قال «الفارس النادر» : لا . . بل لم نبدأ بعد . .

كان قد تمكن من التقاطهم بمهارة ، ورغم أن بعض الجروح قد بدت على وجه رانيا فإن « الديناصور العصبى» الذى أصبح أكثر قربا منهم دفعهم إلى الجرى فى الوادى .

إنها مطاردة غير متكافئة ، فخطوة واحدة من هـذا الحيوان العملاق تساوى كيلو متر واحد تقريبا ، ولذا فإنه يمكنه أن يلحق بهم بسهولة . ورغم سخونة المطاردة فإن الخوف استبد من جديد بالصغار ، وهم يحسون بالخطر يقترب منهم .

صاح الفارس وكأنه يحاول ان يزيد من عزيمتهم :

ـ تشجعوا يا أصدقاء . . كدنا أن نقترب . .

أحسوا كأنه يمزح فماذا يقصد بالضبط . . هل يقصد أن الوحش قد اقترب منهم ، وأنه سوف يفترسهم بأسرع مما يتصورون ؟

فجأة لاح الأمل .

أشار إلى عربة تبدو قديمة ، وكأنها مهملة منذ سنوات طويلة .

صاح :

ـ أسرعوا . . لقد ظهرت . .

حاول أن يجعل خطواته توازى خطوات الصغار الذين يلهثون .

تساءلت رانيا وهى لاتزال تجرى :

ـ ماذا تقصد . . إنها عربة قديمة .

قال بنفس ، اللهجة : الغريق دائما يبحث عن قشة يحاول أن يتعلق بها .

فى تلك اللحظات ، كاد الديناصور إن يدوس فوق حازم ، لكن الصغير دفع نفسه وقفز بعيدا عن الخطر ، فى نفس اللحظة نجح الفارس أن يدفع بكل من شهيرة ورانيا فوق العربة ، وصاح :

ـ قوموا بتشغيلها حتى أشاغل الديناصور .

والتفت نحو « الديناصور العصبى » ، ثم أخرج سيفه مرة أخرى ووقف فى مواجهته ، كأنه سوف يقاتله ، وقال وهو يدرك خطورة الموقف موجها كلامه إلى حازم :

ـ أسرع إلى العربة . . أنا قادم . .

وقبل أن ينتهى من كلامه ، رمى بالسيف فى الهواء فتحرك أمام عينى الحيوان ، وبدا كأنه ضوء ساطع راحت تشغل الحيوان الثائر

فتوقف عن الحركة وبدا منتبهًا إلى السيف الذى أخذ يدور فى الهواء عدة مرات .

فى تلك اللحظات كان الجميع قد ركب العربة القديمة وراحت شهيرة تديرها فهى تعرف جيدا كيف تتصرف ، وكم ادارت مثلها فى مدينة الملاهى . صاح« الفارس النادر» الذى ركب فى الخلف :

ـ أسرعى قبل فوات الأوان . .

وراحت العربة تتحرك . وفى تلك اللحظات سقط السيف من أعلى ، فمد «الفارس النادر» يديه خارج العربة ، وتمكن من التقاطه بينما انطلقت العربة بكل سرعة . .

كانت مطاردة غريبة فعلا لكنها غير متكافئة . ليس لأن الحيوان عملاق ، وله اقدام ضخمة يمكنها أن تدهس العربة ولكن لأن هذه العربة ذات العجلات القوية يمكنها أن تدور بسرعة . وأن تتحرك تندفع فوق الأرض وتسبق الديناصور عشرات المرات . .

وبالفعل . فما إن انطلق« الديناصور العصبى» خلف العربة حتى بدا كأنه سوف يدهسها فى أول الأمر ، لكن مالبثت السرعة أن زادت وابتعدت العربة إلى مسافة كبيرة . ولأنه ديناصور عنيد للغاية ، فلم يتوقف عن الجرى خلف العربة البعيدة وبدا يلهث بشدة . وحاول أن يقذفها بحجر ضخم ، لكنه لم يستطع فقد بدا



كأن قوته قد خارت .

توقف فجأة عـن المطاردة ، كأنه يندب حظه ، فهـو لن يتمكن أبدا مـن النوم فى الوادى الأملـس تحت الطبقة الجليديـة ، وقرر أن يعـود ثانيـة ربما يمكنـه أن يفعل ذلـك بعـد مئـات من السنـوات الباردة . .

(٢٧)

ضحكوا جميعا ، وكان لضحاكاتهم أكثر من معنى .

الآن هاهو العجوز قد انسلخ ثـانية ، ويجلس فى المقعد الخلفى للسيارة ، ويقول :

ـ الحمد لله . . لقد حصلنا على العجلة . .

ثم راح يشرح أن البشرية قد تطـورت عشرات الدرجات يوم أن عـرف ابناؤهـا أهميـة العجلات ، فلـولاها مـاتمكنـوا من الإفـلات بسهولة من الديناصور العصبى . قالت رانيا :

ـ أتمنى ألا تكون المغامرة قد انتهت . .

سألها : هل عرفت إلى أى حد المغامرات ممتعة ؟

هـزت رأسهـا بـالإيجاب ، بينما قـالـت شهيرة : أمـا أنـا فقـد تعبت . .

قال العجـوز : مهمتك قادمـة . . سوف تعـودين بالعـربة إلى المدينة . . وهناك ستتغير الأمور .

أخبرها أن مهمتها شـاقة . فعليها أن تعود بكل سرعـة بواسطة العربـة ذات العجلات، فلعـل هذا يفيـد المدينة فى فـك محنتها، فلاشـك أن عودة العجـلات سوف تساعـد الناس فى أن يـواجهوا القوات الزرقاء القادمة .

وكـان على شهيرة أن تـركـب العـربـة وأن تسرع بها، وفى تلـك اللحظات وقـف الجنود الـزرق يتطلعون مـن أعلى الجبل . وأشـار «الشبح الأزرق» انه يجب منع العربة من الانطلاق، وامر بأن يسرع عشرة رجال خلفها بالجياد الطائرة . .

ومـا إن انطلقـت شهيرة بالعـربـة فى الطـريق الـذى رسمـه لها العجوز، حتى اندفع الجنود وراءها ، هنا رفع حازم عينيه وقال :

ـ هؤلاء الرجال أشرار . . إنهم يطاردون العربة . .

ضحـك العـجوز ضحكتـه الجذابةوبـدا كأنـه يطمئنه أن رانيـ سوف تتصرف بذكاء . . ثم قال :

ـ لقد توقفنا قليلا والتقطنا أنفاسنا . . لكن الرحلة طويلة . .

سألت رانيا وهى تتطلع إلى الأفق فى الجهة الغربية ، أى عكس الجهة التى سارت فيها شهيرة :

ـ انظر . . ماهذا . . ؟

كـانت تـوجـه كـلامها إلى العجـوز ، فهـو الـذى يعرف مـاذا هناك . . نظر الثـلاثة إلى قطب عال . بدا أشبه بعمـود أثرى أسود

غريب . قال :

ـ حسنـا . . لقد رأينـاه . . يجب أن نذهــب إلى هناك . . إنـه القطب الموجب . . هيا بسرعة . .

ثم تطلع إلى أعلى حيـث يركب «الشبح الأزرق» ورجـاله الجياد الطائرة، بـدا كأنه يتمنـى أن يكون لديـه أحد هذه الجيـاد بعد أن تخلص من كـل من البساط الألكترونى ، والعـربة ذات العجلات ثم تمتم :

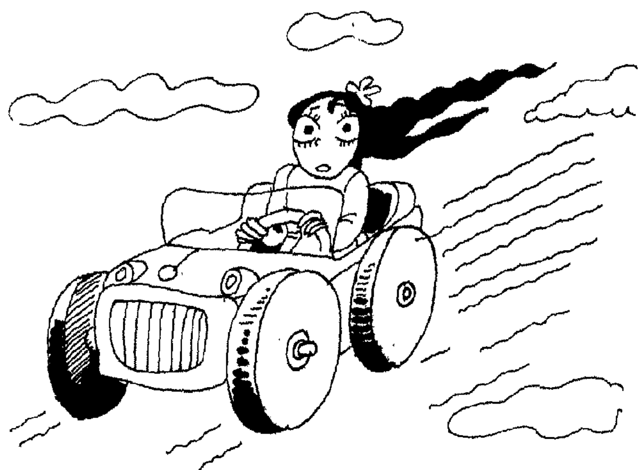
ـ أتمنى ألا يصل إلى هناك قبلنا . .

ولم تفهم رانيا شيئا ، أمـا حازم فبدا كأنه يتذكـر متى سمع هذه العبارة « القطب الموجب » ،لكنه لم يتمكن من التذكر .

(٢٨)

فى تلك اللحظـات ، انطلقت الجياد الطائرة العشرة وراء عـربة شهيرة ، وحـاول الجنـود الـزرق ان يمسكوا بها كـى يمنعـوهـا مـن الوصول إلى هدفها ، وبالفعل فقد كادوا أن يقتربوا منها ، ولكن ما إن لامسوا العربة ،حتى بدت كأن قـوة غريبة قد مستها فانطلقت تسرع بشكل اثار دهشتهم .

وحاولت الجياد أن تلحق بالعـربة المنطلقة ،ولكن هيهات فقد سبقت الريح ،ولأن أوامر «الشبـح الأزرق» بالغة الحدة فإن الجياد لم تكف عـن المطاردة . . ولذا اصـاب الجياد تعبـا تساقط الـواحد



منها تلو الآخر . . وما أقسى أن يتساقط الجواد . .

ووصلت شهيرة بعد ساعات قليلة إلى مدينتها المنكوبة . .

كانت المدينة فى تلك اللحظات تمر بأزمة جديدة ، فاليأس قد استبد بالناس ، صحيح انهم تمكنوا من إشعال النيران لكن لم يكن هناك صيد ولا وسيلة للتجوال فى الأماكن القريبة من أجل إحضار الصيد الثمين .

وعندما وصلت شهيرة إلى المدينة ، كان أحد الشيوخ قد اصيب بتعب مفاجئ . وظن الناس أن الطاعون سوف ينتشر فى ظل هذه الظروف القاسية . .

وخاف الناس أن يمسوا المريض . . وتمنوا أن تأتى المعجزة لنقله بسرعة بعيدا عن المكان . وما إن سمعوا صوت العربة حتى صاح أحدهم :

ـ انظروا . . لقد جاءت النجدة ! !

لم يصدقوا ماتراه أعينهم ، انطلقوا يستقبلون شهيرة بحفاوة بينما راحت أمها تبكى من الفرحة ، لأنها لم تكن تتصور أن تعود ابنتها سالمة بل ومعها تلك العربة التى هى مؤشر خير .

صاح أحد الرجال :

ـ بسرعة ، احملوا المريض هنا ، واذهبوا به إلى الطبيب فى المدينة المجاورة .

واستعذب الناس الفكرة . . وبعد قليل دارت أول عجلة منذ يومين فى المدينة ، وكان ذلك إيذانا بعودة كافة أشكال العجلات إلى المدينة . . بدا ذلك بالرحاية القديمة التى كانت تطحن الحبوب ثم عجلات العربات والسيارات والقطارات والطائرات وأيضا التروس الموجودة فى الساعات والأجهزة الكهربية والمصانع .

وبدأ أحد أهم أسباب التكنولوجيا يعود إلى المدينة . . وعمت الفرحة القلوب . . لكن كانت هناك أشياء كثيرة ضائعة . .

فرغم وجود العجلات فإن الكثير من الأشياء لم تتحرك . . وبدت كأنها غير موجودة . . لأنه يجب ظهور شىء ما يحركها . .

(٢٩)

لذا كان على العجوز ان يسرع فى طريقه . . وأن يصل إلى هدفه قبل الأوان .

كان عليه أن يصل إلى «وادى القطبين» بكل سرعة . ولم يكن الأمر سهلا ، فهاهى الجياد الطائرة الباقية يمكنها أن تنطلق وتسبقه . . فكر فيما عليه أن يفعله ، لقد سبق أن استخدم فى مرة سابقة الزلاقات ، ولكنه لايحب أن يستخدم نفس الشىء مرتين .

أشار العجوز إلى « الشبح الأزرق» ، وصاح :

ـ أنت يا أزرق . . لاتقترب من هذا الوادى . . إنه لى . .

أوقف «الشبح الأزرق» حصانه الطائر وبدا كأنه يوكل رئيس أركانه« الداكن » أن يرد نيابة عنه، فقال :

ــ الرسالة وصلت يانادر . نحن نعرف مدى خطورة هذا الوادى . ولذا سنهديك أحد الجياد الطائرة . . نحن لانريده . .

لم يفاجأ العجوز بهذا الكرم . فلاشك أن «الشبح الأزرق» يعرف أن من يدخل هذا الوادى لن يعود ثانية منه ، وهو المعروف فى قصص الفنطازيا بوادى الصواعق . حيث لايوجد شيئان متفقان أبدا . وهناك تطاحن دائم بين الأطراف . . وياويل من يمشى تحت المسافة الواقعة بين القطبين الأسودين : القطب الموجب . والقطب السالب . .

قال العجوز مشيرا إلى «الشبح الأزرق» :

ـ نشكر لك كرمك . . وأعرف انك حريص على الحياة . . سأترك لك الجواد حتى لايموت من الصاعقة .

فى تلك اللحظات، بدأت السماء تتلبد بالغيوم، قال العجوز:

ـ سوف يسقط المطر خلال ساعة . . وستكون كارثة . .

لم يفهم حازم ورانيا ماذا يقصد بذلك لكن لاشك أن أى كارثة ستكون أخف وطأة مما أصاب مدينتهم ، لم يكن هناك وقت للإجابة ، فقد رأى شيئا يلمع فى الأفق . جذب انتباهه بشدة . صاح :

ـ ياللهول . !! القطب يلمع . . يجب أن نسرع .

ولم يكن هناك وقت للتفكير ، التفت إلى قوات «الشبح الأزرق» وقال :

ـ اهرب من هنا . وإلا سيلحقك الدمار .

ومن جديد ضحك «الشبح الأزرق »فلاشك أن خصمه الأزلى يود له النجاة ، فى تلك اللحظات هبط أحد الجياد الطائرة أمام العجوز . ولم يكن أمامه سوى ان يركبه ، وينطلق به نحو الوادى . قبل ان تفلت الأمور من بين يديه .

وأسرع الثلاثة يقفزون فوق الجواد الذى طار بهم بسرعة نحو بوابة «وادى الصواعق» . وهناك كانت المفاجأت فى انتظارهم .

(٣٠)

فى تلك اللحظة التى انطلق فيها «الجواد الطائر» عائدا إلى مكان آمن ، رأى العجوز امرأتين تبكيان بحرقة شديدة ، كانت إحداهما تبدو عملاقة بشكل ملحوظ وتقف على البوابة اليمنى ، أما الثانية فإنها تبدو قزمة ، وتقف عند البوابة اليسرى . .

ما إن رأت المرأتان العجوز حتى أسرعتا نحوه ، وقالت العملاقة :

ـ أيها الرجل العجوز . يبدو أنك طيب . ارجوك انقذ ابنى .

والغريب أن المرأة القزمة قالت نفس الكلام . اندهش حازم ورانيا، ورق قلب كل منهما وهما يتذكران ذويهما الذين يتلهفون حتما على عودتهما . قالت الأم الأولى :

ـ ذهب ابنى لشحن القطب الموجب . .

وأكملت الثانية : وابنى ذهب لشحن القطب السالب . .

أحس العجوز أن الأمر بالغ الخطورة، وسرعان ماعرف الحكاية ففى «وادى الصواعق» توقفت الحروب بين أبناء الطائفتين اللتين تسكنان الوادى : الأقزام والعمالقة منذ عام مضى . وهاهى تتجدد مرة أخرى مع اقتراب موسم الأمطار . فقد ذهب جميع الشباب من الأقزام إلى حيث يوجد القطب السالب وعليهم القيام بشحنه، بكافة الشحنات الكهربية المحبوسة فى أرض الوادى حتى يعود إليه لمعانه . ويصبح مهيئا لأن يطلق صواعقه نحو القطب الموجب الذى سيصبح بعد دقائق فى قمة تألقه ولمعانه، بعد أن تم شحنه بكافة الشحنات الكهربية الموجبة .

قالت الأم العملاقة :

ـ فى العام الماضى مات الكثير من أبنائنا فى معركة شرسة . .

ثم قالت الأخرى : ولانريد أن يموت أبناؤنا هذا العام . وهاهى الأمطار ستسقط بعد قليل . وبينما هما تتكلمان كانت عضلات العجوز قد بدأت تشتد وتقوى، وتندفع الدماء الحارة فى

الشرايين ، قال للمرأتين :

ـ سأحاول .

قالت العملاقة : هناك نبوءة أن رجـلا غريبا سيأتى هذا العام وسيأخذ الشحنة المركبة معه . وعلينا أن نساعده . .

دفعت القزمة بكيس صغير وقـالت : خذ، هذه ستفيدك . . فأنت الرجل الذى رأيته فى أحلامى ينقذ ابنى .

وامسك الفارس النادر بالكيس ، ونظر إلى السماء الملبدة بالغيوم وتحسس وجهه ، وقال :

ـ لقد سقطت أول نقطة مطر . . إلى اللقاء . .

كان عليه أن يلـم بالأمور قبل أن تفلت من بين يـديه ، هتفت «رانيا» وهى تراه يبتعد :

ـ ألن نأتى معك . ؟

رد : اذا لم أعد . . فلا تتوقفا عن المغامرة . .

وكان رده أبلغ دليل على خطورة الأمر . فترى هل سيتمكن من العودة ثانية ؟

(٣١)

بدأ السباق الرهيب مع الزمن . .

فهـاهو المطـر يتسـاقط . . وهـاهـو الوادى قـد تلبـد بالغيـوم

واختفت الشمس ربما لأيام طويلة قادمة . وفى طرف الوادى يقف القطبان كل منهما شامخ يلمع كأنه يستعد للمجابهة . على الطرف الأيمن . راح الشباب العمالقة ينشدون اغنيات الحرب . وقد استبدت بهم رغبة مثيرة فى أن ينتصروا على منافسيهم ، من أصحاب القطب المقابل ، وتصوروا إنه كلما زادوا من الشحنات الموجبة أمكن لقطبهم أن يطلق شرارة تغلب بالضربة القاضية الطرف الآخر .

أما الشباب الأقزام فكانوا يتسمون بعناد شديد ، وبكل ثقة فى النفس ، راحوا يدفعون آخر الشحنات السالبة فى قطبهم اللامع وأخذوا يتأملون السماء وهى تسقط أمطارها ، التى بدأت تزداد غزارة . .

تساقطت حبات المطر فوق القطبين ، واستعد كل منهما أن يطلق شحنته بينما اصطدمت السحب ببعضها بقوة شديدة ، وفى تلك اللحظات المثيرة انطلقت أول إشارة رعد من بين السحب سبقتها صاعقة صغيرة .

وعلى الطرفين راح كل جانب يهلل :

ـ النصر لنا . . النصر لنا . .

وما إن انطلقت الصاعقة الصغيرة حتى كان ذلك إيذانا بتوليد شحنة من الصواعق الكبيرة ، بدأت تحرك الشحنات الكامنة فى



القطبين المتباعـدين المتنافـرين، وكان ذلـك إيذانا بشحـن القمم بالشحنات .

في تلك اللحظات كان الفارس النـادر قد أسرع بكل ما يملك من قـوة ، واختار أن يصـل إلى نقطة المنتصـف بين القطبين . كان يعرف أنه لا يمكـن لأحد أن يفكر من أبنـاء الوادي في ان شخصا غريبـا قد وصل إلى هـذه البقعة الغارقـة في الأمطار ، وكأنها مـركز الصواعق .

وقـف يتأمـل الشرارة العظمى تستعـد للانطـلاق من القطـب الموجب ، وعلى الطـرف الثانـي رأى شرارة بالغـة القوة تنطلـق من القطب السـالب . إنها الشحنـة الخارقة التـي لا تنطلق سـوى مرة واحدة في السنة ، وهي كفيلة لـو التقت بالشحنة الموجبة أن تحدث أثـرا قويـا يمكنهما أن تكهربـا كافـة الكائنـات الحية في الـوادي ، وتقتلنهـم جميعا .

فكر فيما عليه ان يفعل ، لم يكن قد اهتدى بعد إلى ما يمكـن أن يفعله كي يمنع الكـارثة لكنه فجأة تذكر المرأة التي اهـدته صندوقا صغيرا . إنه لا يـزال يحمله وأحـس أنه يمكنـه الاستفادة منـه لكن ترى ماهذا الصندوق حقا ؟

(٣٢)

هتف فجأة . يا إلهي . . لقد اهتديت إلى الفكرة . .

وتحركت الأحداث بسرعة . وأسرعت الشحنتان كل منهما نحو الأخرى كأن الصاعقة العملاقة سوف تتولد وتصيب الوادى بكارثته الأخيرة ، فجأة أخرج سيفه وراح يطعن به الهواء . وبيده اليمنى دفعه نحو الأعلى . أما يده اليسرى فقد امسكت العلبة البلاستيكية ، وراح يثبت قدميه فى الأرض بقوة كأنه يعرف أن ما هو قادم عليه يحتاج إلى جبل راسخ حتى لا يتحرك . لا يتحرك من هول الصاعقة .

وانطلق نصل السيف فى الفضاء ، وبكل سرعة راح يتمدد لأعلى واصبح النصل عريضا ، كأنه مرآة لامعة مستعدة أن تستقبل هاتين الشحنتين العملاقتين على طرفى النصل .

وبالفعل اندفعت الشحنة الموجبة نحو طرف النصل الأيمن واندفعت الشحنة السالبة نحو الطرف الآخر وبكل مهارة استطاع «الفارس النادر» وهو يغالب كل هذه العوامل الجوية القاسية ، أن يلتقط الشحنة العملاقة فى طرف سيفه ، وسرت فى الصلب النادر المصنوع منه السيف وبكل مهارة أيضا فتح العلبة البلاستيكية التى اخذها من المرأة القزمة ، والقى بداخلها بالشحنة العملاقة وسرعان ما راح يغلق العلبة وهو يتنهد ويصيح :

ـ يا إلهى . . أخيرا ! !

كان كل شىء قد تم بمعجزة خارقة ، وفقد كل من القطب

الموجب والقطب السالب شحنته التى لن تعود إليه إلا بعد سنة كاملة، وأنقذ الوادى من كارثة حقيقية لن تتكرر فى الزمن الحالى .

ورغم أن المطر لم يتوقف ، فإن الأمور بدت هادئة وكان على الفارس النادر أن يسرع إلى بوابة المدينة من أجل أن يرسل الشحنة العملاقة إلى المدينة المنكوبة مع أحد الصغيرين .

وعند بوابة المدينة، قابلته كل أم بسعادة بالغة، راحت كل منهما تعانق الأخرى بتأثر باد وكان هذا مشهدا غريبا طريفا للغاية ثم التفتت الأم العملاقة إلى «الفارس النادر» الذى عاد إلى هيئته كرجل عجوز، وقالت له :

- أيها العجوز الحكيم ، لك فى عنقى دين فاطلب ما تشاء . .

ولم يشأ العجوز أن يطلب مقابلا لمهمة قام بها . فكفاه أنه قد حصل على الشحنة الكهربية العملاقة ، ولكنه يفكر الآن فى وسيلة يذهب بهذه الشحنة إلى المدينة المنكوبة . قالت المرأة القزمة :

- لقد أنقذت وادينا وأبناءنا من كارثة محققة . .

صاح العجوز : هل لديكم وسائل سريعة للنقل ؟

وراح يشرح الموقف للمرأتين . هنا قالت العملاقة :

- الأمر صعب . . لكنه ليس مستحيلاً . .

(٣٣)

كان على رانيا أن تحمل مسئولية العودة بالشحنة الكهربية

العملاقة الموجودة داخل الصندوق البلاستيك إلى مدينتها .

وسرعان ماجاء الرخ الملون كى يقوم بمهمة نقلها إلى المكان الذى تريده . كان عليه أن يحملها فوق ظهره، ويطير فوق السحب الملبدة . دون أن يعرف ان عشرة من جنود المدينة الزرقاء قد تتبعوه من أجل اختطاف الصندوق، ومحاولة الاستيلاء على تلك الشحنة الثمينة .

التفتت رانيا إلى الخلف، ثم صاحت تحدث الرخ الملون :

ـ اسمع ياصديقى . . يقولون أنك بطئ ، وان الجياد الطائرة أسرع منك .

ورغم أن تلك حقيقة مؤكدة ، فان الرُخ أحس بالغيظ ، وفجأة ضم جناحيه وفرد منقاره للأمام وكأنه أصبح صاروخا ينطلق نحو الفضاء . . وبدأت مطاردة غريبة بين الجنود الزرق وبين الرخ الملون الذى راح يسبقهم بمسافة طويلة ، وعندما أحس رجال « الشبح الأزرق » بأن الأمور تكاد تفلت منهم، قرروا اطلاق الأشعة الزرقاء على الرخ من أجل اسقاطه من اعلى .

لكن هؤلاء المساكين الأغبياء كانوا لا يعرفون أن الأشعة الزرقاء لايمكن أن تصيب الرخ بأى اذى . فسرعان ماذابت هذه الأشعة داخل الألوان العديدة المزركشة التى يتكون منها ريش الرخ الجذاب ، وهكذا أفلتت رانيا من خطر محدق ، وبعد ساعات

قليلة وصلت فى اليوم الثالث من المغامرة إلى طرف مدينتها . .

كانت المدينة قد استعادت بعض الثقة عقب عودة شهيرة ، والآن ، هاهى رانيا قد رجعت حاملة الصندوق الثمين معها .

صاح كبير العلماء وهو يمسك بالصندوق :

ـ يا إلهى . . هذا كنز عظيم . سوف نحرك به المدينة . .

وانتقل أبناء المدينة كى يشاهدوا عودة الحياة الحقيقية ، فسرعان مادارت السيارات الواقفة ، دارت مواتير المصانع ، وعادت المصابيح للظهور، وظهرت الأضواء من جديد . وبدا كأن الحياة تنبض فى كل انحاء المدينة .

وارتسمت الابتسامة على الشفاه . . لكن من الواضح أن المغامرة لم تنته بعد . فلا تزال هناك أشياء غالية على «الفارس النادر» أن يحاول استعادتها . .

ترى ماهذه الأشياء ؟ وهل يمكن إعادتها بسهولة أم إن المغامرة مرتبطة بالمخاطر التى لاتكاد تنتهى حتى تبدأ من جديد . ؟

(٣٤)

قال العجوز ، وقد بقى وحيدا مع حازم :

ـ لو أن «رانيا » نجحت فى الوصول إلى المدينة ، فإن ذلك يبشر بالخير.



قال حازم : اطمئن سوف تصل رانيا . . لكن أتمنى ألا تكون المغامرة قد انتهت .

هز العجوز رأسه كأنه حاول أن يستجمع ذكرياته ، وقال :

ـ مغامرة الإنسان مع الحضارة لاتنتهى . . إنها قائمة ماقام الإنسان . . ولكن علينا أن نتوجه إلى أكثر هذه الوديان جمالا .

بدت الكلمات غريبة على حازم ، ماذا يقصد العجوز بهذه الكلمات ؟ لعل الاثنين لم يعرفا أنه فى تلك اللحظات التى كانا يتكلمان فيها عن هذا الوادى البعيد ، فإن «الشبح الأزرق » قد اختفى مع رجاله من الجو ، حيث اندفعوا بجيادهم الطائرة ، واتجهوا إلى مايسمى بوادى الذكريات . . كانت الفرحة مرسومة على وجوههم وكأنهم سوف يرتكبون الشرور المتوقعة منهم حيث حلوا ونزلوا .

وبينما هم فى طريقهم إلى وادى الذكريات ، كان العجوز قد حكى الكثير عن هذا الوادى لحازم وهما فى طريقهما إلى نفس المكان .

ركب كل منهما جوادًا أبيض ، وقررا أن تكون الرحلة هادئة خاصة أن الوادى ليس بعيدا وان المرحلة الأساسية من المغامرة قد مرت ، أما الجانب الجميل منها فهو قادم .

ولأول مرة يعرف حازم تلك الرحلة المثيرة التى قطعها الإنسان

مـع الحضـــارات ، وإن لكـل حضـارة ميـــزتها الكبرى فبينما بـرع الفـراعنة فى علـوم الهنـدسة والتحنيـط ، وتـوصلوا إلى الكثير، مـن المعجزات ، فإن منطقة الشرق كانت مهدا لهداية البشر حيث نزلت الأديان الكبرى هنا مثل الإسلام والمسيحية واليهـودية ، أما اليونان فقدمت للدنيا أجمل الأساطير وأعمق الفلسفات ، وبرع الرومان فى علوم السياسـة والديمقراطية ، وفى الصين كانـت العلوم والفلسفة والعقائدغير السماوية مثل البوذية والكونفوشية .

وفى العصر الحديـث كانـت ثورة التكنـولوجيـا وتطبيق العلـوم النظريـة ، ولكن العالم كله أصبـح مكأنا خصبا للحضـارة الحديثة التى مثلتها مجموعة من الاختراعات الحديثة .

سأل حازم : ماذا تقصد . ؟

قال العجوز : إنها ثورة كبرى . .

بدا الأمر مثيرا للتساؤل . سأل حازم : إنها كلمة كبرى . . من قام بالثورة . . وضد من . .

ابتسم العجوز ـ وكان الاثنان قد وصلا إلى أطراف الوادى ـ إنها ثورة . . يستفيد منها الجميع . . ثورة الاتصالات .

وكان على العجوز أن يشرح الكثير لحازم ممـا يقصده . . ولكن يبـدو أن الأحداث الجسيمـة كـانـت فى انتظارهما ، فهـذا الـوادى الجميل قد شهد أحداثا مثيرة .

(٣٥)

فى اللحظة التى دخل فيها الاثنان من بوابة الوادى الكبير، كان جنود «الشبح الأزرق» بقيادة زعيمهم يهربون من الجانب الآخر حاملين معهم شيئا ثمينا . .

ولذا ، اندهش العجوز حين دخل الوادى . فقد بدا له ساكنا بلا حياة ، التفت ذات اليمين وذات اليسار، وكأنه يبحث عن شىء .

سأله حازم : ماذا بك . . ؟

رد العجوز : أحس أن «الشبح الأزرق» قد مر من هنا . .

إنه يعرف أن وادى الذكريات مليئ بالبهجة والفرحة . وان سكان هذا الوادى فى مهرجانات دائمة ، يغنون ويمرحون ، ويستمعون إلى أجهزة الراديو ويتفرجون على أفلام السينما ، ويشاهدون الأخبار فى التليفزيون ويوجد لديهم هنا أكبر متحف فى التاريخ للصور النادرة بعضها ملون والبعض الآخر أبيض وأسود .

إذن فهناك شىء ما غريب، اختار أن ينزل من فوق الجواد وتبعه حازم ثم راحا يمشيان فوق أرض الوادى ، بدا المكان خاليا من كل الأحياء . . وكأن قنبلة أبادتهم . . وقف ينادى .

ـ يا أهل الذكريات . . يا أهل الذكريات . .

ولم يسمع ردا على ندائه ، فالتفت إلى الصبى وقال :

ـ فعلا . لقد مر الشبح . . .

وقبل أن يكمل جملتـه هوى العجوز من أعلى ولم يـر أمام عينيه إلا ظلاما دامسا ، واندفعت رأسـه تتخبط فى جدران حفرة عميقة فشعر كأن الدماء تنسال منها .

وقبـل أن يصل إلى قـاع الحفرة ارتفعـت ضحكـات السخريـة والغضب وسمـع صياح حـازم ،وكأنـه يحاول التخلص مـن القوم الذين امسكوا به .

لم يعرف ماذا جـرى . . ولكنه أحس بالخطر يتجسد مـن حوله ولم يكن أمامه سوى ان يتحول إلى الفـارس النادر هذا الرجل الذى لايظهر إلا عندمـا تأتى الأزمات ، وقد بدأ يتحـول منذ أن هوى إلى القاع . .

لذا استطاع أن يتلقى الصدمةبـاعجوبة ، ولو أن أى عجوز بل أى شخص سقط فى هذه الحفرة الضيقة من هذا الارتفاع لتحطمت عظامه تماما ، ولذا فلم يحس «الفارس النادر» سوى ببعض الألم فى جسمه . ولأنه الآن صـاحب قدرات مميزة فقـد استطاع أن يستمع إلى صراخ حازم :

صاح : ياإلهى . . ساعدنى سى أنقذنى . .

لم يفهم ماذا حدث بالضبط . . ولم يعرف أن مجموعة من القوم البدائيين كـانوا يحملـون « حازم » فى تلـك اللحظة ، وينطلقـون به

نحـو « كبير المتفـرجين » زعيمهـم الأزلى ، حـاملين إليـه البشرى الكبرى ، إنهم قد قبضوا على ذلك الأجنبـى الذى سرق منهم أعز ما يملكون . .

(٣٦)

أصبح كل هم الفارس النادر هو الخروج من هذه الحفرة . .

ولم يكن أمامه سوى سيفه الخارق ، فراح يغرسه فى جدار الحفرة وتمكن من التعلق به وصنـع سلما ليصعد إلى أعلى الحفرة العميقة . ولكـن ما إن كـاد يصـل إلى فـوهة الحفـرة ، حتـى انهارت الجدران الرملية ووجد نفسه يهوى من جديد مع الرمال التى دفنته تماما .

بدا الجو مظلما ، وأحـس أنه يكـاد يختنق ثم بـدأ يغالـب نفسه وحاول قدر قوته أن يرفع الرمال المتراكمة فوقه ، لكنه لم يستطع فقد كانت ثقيلـة . وكفيلة أن تخنقه ، لكنه لم ييـأس ، واستجمع المزيد من القوى وبكل مالديه من عزيمة رفع الكتلة الرملية واصطدمت يده فجأة بشىء من الصلب ، هتف وهو يغالب اختناقه :

ـ يا إلهى . . إنه السيف . .

وما إن امسك السيف حتى راح يكرر «الحمد لله» ثم داس بقوة على السيف الـذى كان مغـروسا مثلـه فى الرمـال ، وعلى الفور دار نصل السيف حول نفسه كأنه يحاول أن يحفر وسط الرمال ، ويفتح طريقا لصاحبه .

وبالفعـل ، فقد راح السيـف يخلخل الهواء حـول الرمـل الذى أخذ يتنـاثر، بينما لم يحتمل« الفارس النـادر» هذا القدر مـن الغبار وراح يتمتم :

ـ إنى أختنق . . ساعدنى يا إلهى . .

وضغط بشدة على السيـف ، وكأنه يزيد من قـدرته على الحفر، وهنا رأى فوهة الحفرة من جديد فأحس كأنما قد كتبت له النجاة . . وفكر فى طريقة جديدة للخروج فلاشك أن الجدران الرملية يمكن أن تنهار من جديد ولاتوجد وسيلة للخروج من هنا سوى أن ينادى أبناء الوادى لمسـاعدته ، لكن كيـف يناديهم وهم الذيـن حفروا له تلك الحفرة ؟

لم يعرف أن الأمور قد تطورت إلى حد خطير . وأن أبناء الوادى قـد وصلـوا فى تلـك اللحظات إلى حيـث يـوجـد زعيمهـم « كبير المتفرجين » انـه الآن فى أشد حـالات الغضب . وقـد جلس فـوق مقعده الخشبـى يضع على رأسـه سماعة لايسمع فيهـا شيئا وأمـامه جهاز تليفـزيون لايعمـل وبجانبـه ألبوم صـور راح يتفرج فيـه . . فاكتشف أن الصور قد اختفت .

لمع الغضـب فى عينيه ونظـر إلى «حازم »وهـو مقيد فى الأحبـال وقال له :

ـ سوف تدفع الثمن غاليا . إلقوه فى المرجل .

إلتفت حـازم إلى قدرة كبيرة مـن الفخار بـداخلها سـائل أسود يغلى وسمع «كبير المتفرجين» يكمل :

ـ هذا جزاء من يقترب من وادينا ويأخذ منا كنوزنا . .

وصرخ حازم صرخة عالية مناديا : أيها الفارس . . إلحقنى . .

لكن فجأة حدث شىء لم يكن فى الحسبان .

(٣٧)

أطرق « كبير المتفـرجين » بأذنيـه نحو الأفق وأشـار لرجـاله أن يتوقفوا وقال :

ـ أحس أننى أسمع صوتا جميلا . .

ثم سكت ، وكأنما يحاول أن يرصد من أين يأتى الصوت العذب إلى سمعه . هتف :

ـ إنه فى الحفرة . . اخرجوه بسرعة قبل أن تدفنه الرمال .

وأسرع الرجال الذيـن يرتدون زى سكان الغابات البـدائية نحو الحفرة الرملية ، وراحوا يلقون بالأحبال كى يساعدوا الرجل الموجود بأسفل على الصعود ، وعندما تمكن العجوز من الخروج راح يسعل بشدة مما أثار إشفاق هؤلاء الرجال . . لدرجة أن شخصا مده بأناء من الفخار أمسكه العجوز ، وتجرع رشفة وهو يقول :

ـ هذه أحلى مياه شربتها فى حياتى . .

قال لـه أحد الرجـال : وأنت صـاحب صوت جميـل . . نحن لدينـا زعيم يتذوق كل شـىء جميل . ولذا فهـو المستمع الأكبر أو المشاهد الأكبر . . إنه رجل يقدر الجمال . .

ثم راحوا يسـوقونه نحو الـزعيم الذى نزل عـن عرشه . . وراح يحتضن العجوز، بينما غمـرت الفرحة وجه حـازم ، وأحس أن هذا المأزق الـذى تعـرض لــه سرعـان مـايـزول وينتهـى . قـال كبير المشاهدين :

ــ أنـت صـاحـب صـوت عـذب . . وأنـا احترم الأصـوات الجميلة . . لكن لماذا تسرقون كنوزنا . .

قال العجوز وقد فهم ماحدث :

ـ نحن لم نسرق شيئا . . وإن كنا نعرف اللصوص . .

أشار الزعيم إلى أرجاء الوادى وبدا كأن حماسا استبد به وقال :

ــ انظر إلى هـذا الوادى ، انـه مليئ بـالـذكريـات . بالأشيـاء الجميلة ، الصور ، والتسجيلات ، وقـد سرق اصدقاؤك اللصوص منا شيئا ثمينا . .

قال العجوز محاولا الدفاع عن نفسه :

ـ نحن نعرفهم ولكنهم ليسوا أصدقاء . .

نظر الرجل بغضـب إلى العجوز وقال : مادمت تعرفهـم فانتم أصدقاء . .

ثم حاول أن يغير من لهجته وبدا رقيقا وهو يكمل : أو هكذا أتعامل معكم . . اسمع ياصاحب الصوت الجميل ، صحيح أن أجدادنا كانوا من آكلي لحوم البشر . . وأننا يمكن أن نصبح مثلهم لوفقدنا ذكرياتنا الجميلة لكننا تغيرنا . . بعد أن عهدنا لذة السماع ، والمشاهدة .

بدا كأنه يشرح الموقف للعجوز الذى تأثر كثيرا لما رآه وسمعه فهؤلاء القوم من آكلي لحوم البشر، قد فقدوا وحشيتهم بعد أن عشقوا الأغنيات الجميلة والموسيقى العذبة وأصبحت لديهم كل هذه الكنوز السمعية والبصرية . .

سكت الرجل قليلا ،وأشار إلى حازم الذى لايزال مقيدا قريبا من القدرة التى تغلى فيها المياه ، وقال :

ـ إذا لم يعد الألبوم المسروق . . فسوف نعود آكلي لحم البشر وسوف يكون هذا الصغير أول ضحية لنا .

(٣٨)

إن الفرحة العارمة تستبد به . .

وقف فوق أعلى التل وقد امسك الألبوم بين يديه وراح يتأمل فيه . هذا الألبوم يضم أكثر الأشياء التى يكرهها هذا، «الشبح الأزرق» . وذلك لما به من صور تسجل لحظات البشرية الخالدة ،

خاصة منذ أن عرف البشر أول صـورة ، منذ أن رسم الفنان البدائى على جـدران الكهوف ومنـذ أن سجل «القـدماء المصريـون» كافـة مظاهر حياتهم الخاصة والعامة على جدران المعابد وعلى المسلات ، وأيضا فى المقـابر، ومنـذ أن نحت الـرومان أجمل التماثيـل ومنذ أن عرف الفنانون كيف يلونون اللوحـات ، عندما وقف مايكل انجلو فوق سقالـة ليرسم أجمل لوحات البشر على جـدران وسقف كنيسة سكستين منـذ خمسة قـرون ، وايضا هنـاك اجمل لـوحات الفنـانين الكبار مثل روبنز وجوبا وسيزان .

نظر «الشبح الأزرق » إلى صورة أثارت غيظه ، وقال :

ـــ كـم أكره هـذه الصـورة كثيرا ، إنها أول صـورة تم التقـاطهـا بواسطة كاميرا . .

يعرف أنه منذ أن تم التوصل إلى الصـور الفوتوغرافية كان ذلك إيـذانا بـاكتشـاف كـافة الاختراعـات الكبرى فى العصر الحديـث فعنـدما تحركـت الصور أمكـن اختراع السينما ، وبعـد ذلك ظهـر الراديو والتليفزيون ثم جاء الفيديو والأقمار الصناعية .

هتف «الشبح الأزرق» وقـد ظهرت كلماته على الشاشـة المعلقة على صدره :

ـ اشعلوا النيران ، سأحرق هذا الألبوم بنفسى .

وسرعـان ما أشعـل الجنود الـزرق النيران واقترب منها «الشبـح

الأزرق » وهو يحمل الألبـوم الذى سرقه من وادى الذكـريات ، إنه يعرف أن حرق هذا الألبوم سيساعد فى مسح الذاكرة الخصبة لدى البشر أجمعين ، وليس فقط لدى أبناء المدينة المنكوبة ، فهذا الألبوم دليل أكيـد على أن من ابرز منجـزات العصر هو ثورة الاتصـال مما جعل العـالم كله أشبه بقريـة صغيرة لدرجة أن أى شـىء يمكن ان يحدث الآن فى أى بقعة من الأرض ، ينتقل بـأسرع ما يتصور الناس إلى كل الـدنيا من خلال الأقمار الصناعية ، بل إن الأمـر وصل إلى حـد أن الناس شـاهدت وقـائع الحروب على الشـاشة والمعـارك فى أشدها .

رفع «الشبح الأزرق » الألبوم إلى أعلى ، وطوح بالألبوم فى الهواء راميا به إلى النيران الشديدة التى يمكنها أن تلتقطه وتلتهمه فى ثوان عديدة وهو يشعـر بالسعادة تغمره لأنه سيتخلص مـن هذا الكنز البشرى الثمين .

(٣٩)

تطلعت عيـون الجنود الزرق إلى الألبـوم الثمين ، وهو يـرتفع فى الهواء ، ثم وهو يتجه بكل قـوة نحو النيران ، ولمعت العيون الحمراء مـن السعادة بينما غمـرت الفـرحـة« الشبح الأزرق» وهـو يـرى أن مغامرته قد انتهت تقريبا لصالحه .

لكن فجـأة انقبض قلبـه بشدة، وانتفـض وراح يمسك سيفـه واستله من مكانه، وأشار إلى جنوده كأنه يقول :

ـ اقتلوه . . لقد جاء إلى مصيره بنفسه .

لم يصدق عينيه الحمـراوين وهو يرى خصمـه اللدود «الفارس النادر» يقفـز بكل مـالديـه من قـوة نحو الألبـوم ويلتقطه قبـل أن يلمس النيران .

وفى سرعة البرق استل الفارس سيفه ، ووقف وسط دائرة صنعها الجنود الـزرق الذين استعدوا لمبـارزته، بينما ضم الألبـوم إلى صدره بيده اليسرى وفى لحظة واحدة هجم الجنود نحو الفارس بسيوفهم .

وكانـت المفاجأة، فسرعان مـا كبر نصل السيف وخرجـت منه زوائد صغيرة قـرابـة ثـلاثين سيفـا صغيرا ، راح يطيـح بسيـوف الخصوم، ويسقطها فوق الأرض ثم صاح غاضبا :

ـ سأقاتلكم بيدى إذا لزم الأمر . .

وكانـت المفاجـأة أن الجنود قـد تكتلوا معـا واستعدوا لمواجهـة «الفارس النـادر» بعد أن أعـاد سيفه إلى مكـانه مـرة أخرى، وبينما ارتد «الشبـح الأزرق» للخلف وهـو يشير إلى جنوده أن يـرتموا على الفارس .

بدوا كأنهم مدربون جيـدا لتلك القفزة المبـاغتة التى قـاموا بها حيث تكتلوا فوق خصمهم بأجسـامهم الثقيلة ، وكأنهم سيفتكون

به ، ووجـد «الفارس النادر» وقد علتـه كتلة من الأجساد الـزرقاء ، وحاول أحدهـم أن يخنقه ، أما الآخر فحـاول أن يسحب السيف ، بينما حاول ثلاثة آخرون أن يمنعوا يده اليمنى من الحركة .

وتصوروا أنهم قامـوا بشل حركته ، بينما وقـف «الشبح الأزرق » يعلن على طريقته الخاصة :

ـ رائع . . مزقوه إربا . . حانت نهايتك يا نادر . .

وهنا أخرج سيفـه المعتم وانتظر اللحظة المناسبة كـى يغرسه فى صدر خصمه فكم تمنى أن يأتى اليوم الذى يتخلص منه . .

وهاهـى جاءت اللحظة وحان وقـت الانتقام لكافة المغـامرات السابقة .

(٤٠)

فجأة طارت كل هذه الأجسام الزرقاء فى الهواء . .

فقد استجمع «الفارس النادر» قوته الخارقة ، واستطاع أن يدفع عنه كـل هذه الأجسـام التى تـراكمت فـوقه وفى لمح البصر سقـط الجنود فوق زعيمهم «الشبح الأزرق » ، وبكل سرعة وقف «الفارس النادر» فـوق الأرض وهو يشهر سيفـه ، ولكنه لم يكن فى حـاجة أن يفعل ذلـك فقد بدا الجنـود الزرق بـلا حول أو قوة ، أمـا «الشبح الأزرق » فقد أشار له بيده ، وقال :



ـ صدقنى . لم أقصد إيذاءك . . هم السبب . انت تعرف . .

وغالب «الفارس النادر» ابتسامة فرضت نفسها عليه من موقف «الشبح الأزرق » ، إنـه فى حال يرثـى له، ثم راح يطـوح بسيفه فى الهواء أعلاهـم مباشرة ،كأنه يـؤكد لهـم أنه قادر على التخلص منهـم فى أى لحظة .

بعد دقـائق قليلة تأكـد تماما أنه قد ملـك زمام الأمر ، فهـاهـم الجنود الزرق مقيدون جميعا مع زعيمهم فى قيد حديدى لن يمكنهم أبدا أن يفكوا هذا القيد مهما كانت قوتهم أو قوة من يساعدهـم . . ثم استعد «الفارس النادر» للإسراع نحو وادى الذكريات من أجل أن يلحق بحازم قبل أن يلقوا به فى مـرجل المياه الملتهبة . ويلتهموه فما أسوأ أن يعود المرء إلى سيرته الأولى بعد أن أصبح متحضرا . .

وهناك كانت الفرحة الغامرة . .

لم يصدق «كبير المتفـرجين» أن ألبوم الذكـريات قد عـاد إليهم ثانية . . راح يتصفحه فى إعزاز ويردد :

ـ لن نفرط فيه قط . . إنه أعظم مانملك . .

سأله حازم وهو ينظر إلى المرجل الملئ بالمياه الساخنة :

ـ هل كنتم ستضعوننى هناك . .

هز الرجـل رأسه بالإيجاب وهو يتمايل مع الموسيقـى التى بدأت تنبعث من جديد فى السماعة المعلقة على أذنه :

ـ طبعا . . عندما نفقد الذاكرة فلا نعرف المزاح .

لاحظ أن « حازم » قد تضايق قليلا ، فالتفت إليه وهو ينظر إلى شاشة التليفزيون التى تبث برنامجا جذابا يدور فى إطار مسابقة عن لمعلومات العامة وقال :

ـ لكننا الآن سعداء ، وسنشركك فى سعادتنا . . خذ . .

ومد له بشريحة فيلمية ، وقال :

ــ هذه الشريحة تضـم كـافـة الصور الموجـودة فى الألبـوم ، إنها سطوانة كومبيوتر وميكرفيلم فى نفس الوقت . .

ابتسم «حازم » وراح ينظر إلى العجوز، وسأله :

ـ هل هذه هى ماجئنا من أجلها . ؟

هز العجز رأسه ومط شفتيه ، وقال :

ـ نعم هـذه هى واحدة من الحلقات الهامةالتـى يمكن أن تعود بها مدينتكـم إلى حالتهـا . . عندما ستصـل إلى هناك ستعـود من جديد مدينة للراحة . .

وأسرع الصغير نحو العجـوز وارتمى فى أحضانه وهـو يبكى ، لم بصدق نفسه ، وسمع العجوز يقول له :

ـ هيـا ، فوراءك مهمـة شاقة والـرحلة غير سهلـة ، وستقطعها وحدك . . مفهوم ؟

نظر إليـه الصغير وهو يمسح دمـوعة . الآن لقـد تغير «حازم»

كثيرا وأحس انه كبر خلال هذه الأيام الخمسة مايعادل خمس سنوات كاملة بل ربما أكثر بكثير ، فهو الآن يعشق المغامرة وقادر أن يكون مسئولا عن توصيل الأسطوانة إلى مدينته فى أسرع وقت ممكن . هنا راح يصافح العجوز ، وقال :

ـ أتمنى أن ألقاك قريبا . . فى مغامرة جديدة . .

ثم أسرع إلى الطريق بعيدا عن وادى الذكريات فى طريقه إلى مدينة « الراحة » .

رقم الايداع : ١٩٩٦/٧٨٩٤
I.S.B.N. 977 - 09 - 0345 - 0

مطابع الشروق

القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت:٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ـ٨١٧٢١٣ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)